

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{هل يستويان مثلاً}

إعداد

أ / أحمد إسماعيل زيد

محاضر بالأكاديمية الإسلامية

لدراسات الأديان والمذاهب

محاضر بقناة الأمة الفضائية

المقدمة

يعتقد المسيحيون واليهود على السواء أن الآيات التي ذكرها القرآن الكريم وتثني عليهم تكفيهم ومن ثم فلا عليهم أن يتبعوا القرآن ولا الإسلام ولا النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولم يكتفوا بذلك بل غرسوا في نفوس ابناءهم هذه الأفكار الضالة مما أوجد الابناء في أنفسهم علينا وجعلهم إما أن يتهموننا بالكذب وإما بالكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحين عجزوا عن إيجاد أدلة على كذبهم قاموا بشئ غاية في الغرابة ألا وهو تقصص كتبهم وتغييرها حتي لا توافق القرآن الكريم وليقولوا لابناءهم لو كان القرآن حقا لوافقنا . وهذا تصرف ينم عن غباء أصيل لأنهم فعلوا كالمراة التي تقصت غزلها من بعد ما بذلت في اتقانه جهدا ووقتا وفي هذا يقول القرآن الكريم {ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا }

ولكن مع هذا شاء الله تعالى أن يعمي أعينهم عن بعض الحقائق لتظل شاهدة على أنه كانت هناك توراة حقيقية وإنجيل حقيقي إلا أنهم بغباءهم وحقدهم أضاعوهما ولذا رأيت أن أذكر النقاط التي ذكرها القرآن الكريم وذكرت في كتبهم مع بعض الاختلافات .

ورأيت أن أستعين بعد عون الله تعالى بأوضح التفاسير ألا هو تفسير الإمام القرطبي وغيره من التفاسير الهامة لأننا بصدد الحديث عن قضايا لا يصلح معها الإجتهد .

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد

محتويات الكتاب

أولا : نقاط ذكرها القرآن الكريم والعهد القديم والجديد مع بعض الاختلافات.

١-خلق آدم ص// ٤ ٢-العهد لإبراهيم ص// ٣٩

٣-نبوءة يعقوب ص// ٤٦

٤-سدوم ص// ٥١ ٥-داود وامرأة اوريا ص// ٦٧

٦-يوسف وامرأة العزيز ص// ٦٩

٧-تنبؤات يعقوب ص// ٩٢ ٨-جالوت وطالوت ص// ١٠٠

٩-طلب موسى للرؤية ص// ١١١

المراجع ص/ ١١٣

النقاط التي ذكرها القرآن الكريم وذكرت في العهدين القديم والجديد مع بعض الإحتلافات

١- آدم عليه السلام

لقد تحدث العهد القديم عن آدم عليه السلام بطريقة تخالف ما جاء في القرآن الكريم وإن كان بما بعض الحقائق وحتى لا أسقط رأيي عليك عزيزي القارئ رأيت أن أبدأ الحديث بما جاء في العهد القديم ثم نعقب ونبين ما حكاه القرآن الكريم .

٧ وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. ٨ وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. ٩ وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةً لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

١٠ وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: ١١ اسْمُ الْوَّاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. ١٢ وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزَعِ. ١٣ وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. ١٤ وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّلَاثِ حَدَّاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ الْفِرَاتُ

١٥ وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. ١٦ وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، ١٧ وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». ١٨ وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». ١٩ وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ البَرِّيَّةِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا.

٢٠ فَدَعَا آدَمَ بِأَسْمَاءِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَجَمِيعِ حَيَوَانَاتِ
الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. ٢١ فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ سُبَاتًا
عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. ٢٢ وَبَنَى
الرَّبُّ الْإِلَهَ الضَّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ.
٢٣ فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ
نُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرَأَةٍ أَخَذْتُ». ٢٤ لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ
وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. ٢٥ وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ،
آدَمَ وَامْرَأَتَهُ، وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ

١ وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلُ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ
الْإِلَهَ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟»
٢ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ
الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمْسَاهُ لئَلَّا
تَمُوتَا».

٣ فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ
مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمْمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». ٤ فَرَأَتِ
الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ
شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا
مَعَهَا فَأَكَلَ. ٥ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ
تِيْنٍ وَصَنَعَا لِنَفْسَيْهِمَا مَازِرَ.

٦ وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ
النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ
الْجَنَّةِ. ٧ فَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» ٨ فَقَالَ:
«سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ».
٩ فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي
أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» ١٠ فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي
هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ».

١١ فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ:
«الْحَيَّةُ عَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». ١٢ فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِلْحَيَّةِ: «لَأَنَّكَ فَعَلْتِ
هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى
بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَثَرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٣ وَأَضَعُ عِدَاوَةَ بَيْنِكَ

وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». ^{١٦} وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابَ حَبْلِكَ، بِالْوَجَعِ تَلْدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيَاقًاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ».

^{١٧} وَقَالَ لِآدَمَ: «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ^{١٨} وَشَوْكًا وَحَسَا تَنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. ^{١٩} بَعْرَقَ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْرًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

^{٢٠} وَدَعَا آدَمَ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَاءَ» لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. ^{٢١} وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَالْبَسَهُمَا.

^{٢٢} وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ: «هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَيْدِ». ^{٢٣} فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. ^{٢٤} فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهَيْبَ سَيْفٍ مُنْقَلَبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ

كيف تناول القرآن الكريم قصة آدم وحواء؟

هذا ما كان من شأن آدم وحواء وعن خلقهما والأكل من الشجرة والهبوط إلى الأرض من العهد القديم فيما ترى كيف تناول القرآن الكريم قصة آدم وحواء؟

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}

فيه سبع عشرة مسألة :-

الأولى - قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} إذ وإذا حرفا توقيت ، فإذا للماضي ، وإذا للمستقبل. وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم.

الثانية— قوله تعالى : {لِلْمَلَائِكَةِ} وخاطب الله الملائكة لا للمشورة ولكن لاستخراج ما فيهم من رؤية الحركات والعبادة والتسبيح والتقديس ، ثم ردهم إلى قيمتهم ، فقال عز وجل : {اسْجُدُوا لِآدَمَ} [البقرة : ٣٤].

الثالثة— قوله تعالى : {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} "جاعل" هنا بمعنى خالق و"خليفة" ، أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض ، أو من كان قبله من غير الملائكة — وهو آدم عليه السلام ، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره ، لأنه أول رسول إلى الأرض ، كما في حديث أبي ذر ، قال قلت : يا رسول الله أنبيا كان مرسلا؟ قال : "نعم"

ويقال : لمن كان رسولا ولم يكن في الأرض أحد؟ فيقال : كان رسولا إلى ولده ، وكانوا أربعين ولدا في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى ، وتوالدوا حتى كثروا ، كما قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء : ١]. وأنزل عليهم تحريم الميتة والدم ولم الخنزير.

الرابعة— هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة. ودليلنا قول الله تعالى : {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة : ٣٠] ، وقوله تعالى : {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} [ص : ٢٦] ، وقال : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} [النور : ٥٥]

وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين ، حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك ، وقالوا لهم : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش ، ورووا لهم الخبر في ذلك ، فرجعوا وأطاعوا لقريش.. ثم إن الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ، ولم يقل له أحد هذا أمر

غير واجب علينا ولا عليك ، فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

قوله تعالى : { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا } قد علمنا قطعا أن الملائكة لا تعلم إلا ما أعلمت ولا تسبق بالقول ، وذلك عام في جميع الملائكة ، لأن قوله : { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ } خرج على جهة المدح لهم ، فكيف قالوا : { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا } ؟ فقول : المعنى أنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن في بني آدم من يفسد ، إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد ، لكن عموما الحكم على الجميع بالمعصية .

فبين الرب تعالى أن فيهم من يفسد ومن لا يفسد فقال تطيبا لقلوبهم : { إِنِّي أَعْلَمُ } وحقق ذلك بأن علم آدم الأسماء ، وكشف لهم عن مكنون علمه. وقيل : إن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء. وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء ، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم وأحرقهم بالبحار ورؤوس الجبال ، فمن حينئذ دخلته العزة. فجاء قولهم : { أَتَجْعَلُ فِيهَا } على جهة الاستفهام المحض : هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا ؟

إن الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، فقالوا لذلك هذه المقالة ، إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه أو من عصيان الله من يستخلفه في أرضه وينعم عليه بذلك ، وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعا : الاستخلاف والعصيان. وقال قتادة : كان الله أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خلقا أفسدوا وسفكوا الدماء ، فسألوا حين قال تعالى : { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } أهو الذي أعلمهم عنه أم غيره.

وبتوضيح ذلك إليك ما رواه عبدالرزاق حين قال : أخبرنا معمر عن قتادة في قوله "أتجعل فيها من يفسد فيها" قال : كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فلذلك قالوا : { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا } . وفي الكلام حذف على مذهبه ، والمعنى إني جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا ويفعل كذا

، فقالوا : أتجعل فيها الذي أعلمتناه أم غيره ؟ والقول الأول أيضا حسن جدا ، لأن فيه استخراج العلم واستنباطه من مقتضى الألفاظ وذلك لا يكون إلا من العلماء

قوله : { مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ } والسفك : الصب . سفكت الدم : صببته ، قوله تعالى : { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } أي نزهك عما لا يليق بصفاتك . والتسبيح في كلامهم التزيه من السوء على وجه التعظيم ؛ وروى طلحة بن عبيدالله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال : " هو تزيه الله عز وجل عن كل سوء "

قوله تعالى : { بِحَمْدِكَ } أي وبحمدك نخلط التسبيح بالحمد ونصله به . والحمد : الثناء ، ويحتمل أن يكون قولهم : " بحمدك " اعتراضا بين الكلامين ، كأنهم قالوا : ونحن نسبح ونقدس ، ثم اعتراضوا على جهة التسليم ، أي وأنت الحمود في الهداية إلى ذلك . والله أعلم .

قوله تعالى : { وَتُقَدَّسُ لَكَ } أي نعظمك ونمجدك ونظهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون

قوله تعالى : { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } وقوله تعالى { مَا لَا تَعْلَمُونَ } اختلف علماء التأويل في المراد بقوله تعالى : { مَا لَا تَعْلَمُونَ } . فقال ابن عباس : كان إبليس - لعنه الله - قد أعجب ودخله الكبر لما جعله خازن السماء وشرفه ، فاعتقد أن ذلك لمزية له ، فاستخف الكفر والمعصية في جانب آدم عليه السلام .

وقالت الملائكة : { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدَّسُ لَكَ } [البقرة : ٣٠] وهي لا تعلم أن في نفس إبليس خلاف ذلك ، فقال الله تعالى لهم : { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة : ٣٠] . وقال قتادة : لما قالت الملائكة { أَتَجْعَلُ فِيهَا } [البقرة : ٣٠] وقد علم الله أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياء وفضلاء وأهل طاعة قال لهم { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } .

{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}

الآية : ٣١ {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

فيه سبع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} "علم" عرف. وتعليمه هنا

إلهام علمه ضرورة. ويحتمل أن يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام ؛ لو لم يكشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة في الإخبار عنها.

واختلف في اشتقاقه ، فقليل : أنه مشتق من أديم الأرض. قال سعيد بن جبیر : إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وإنما سمي إنساناً لأنه نسي ، ذكره ابن سعد في الطبقات. وروى السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قصة خلق آدم عليه السلام قال : فبعث الله جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : أعود بالله منك أن تنقص مني أو تشينني.

فرجع ولم يأخذ وقال : يا رب إنما عاذت بك فأعذتني. فبعث ميكائيل فعادت منه فأعادها ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعادت منه فقال : وأنا أعود بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره. فأخذ من وجه الأرض وخلط ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبياض وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين - ولذلك سمي آدم لأنه أخذ من أديم الأرض - فصعد به .

فقال الله تعالى له : "أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك" فقال : رأيت أمرك أوجب من قولها. فقال : "أنت تصلح لقبض أرواح ولده" فبل التراب حتى عاد طينا لازبا ، اللازب : هو الذي يلتصق بعضه ببعض ، ثم ترك حتى أنتن ، فذلك حيث يقول : {من حمأ مسنون} [الحجر : ٢٦] ثم قال للملائكة : {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص : ٧١].

فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه. يقول : أتتكبر عما خلقت بيدي ولم أتكبر أنا عنه! فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فرعا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : { مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } [الرحمن : ١٤] . ويقول لأمر ما خلقت!. ودخل من فمه وخرج من دبره ، فقال إبليس للملائكة : لا ترهبوا من هذا فإنه أجوف ولئن سلطت عليه لأهلكنه.

ويقال : إنه كان إذا مر عليه مع الملائكة يقول : أرايتم هذا الذي لم تروا من الخلائق يشبهه إن فضل عليكم وأمرتم بطاعته ما أنتم فاعلون! قالوا : نطيع أمر ربنا ، فأسر إبليس في نفسه لئن فضل علي فلا أطيعه ، ولئن فضلت عليه لأهلكنه .

فلما بلغ الحين الذي أريد أن ينفخ فيه الروح قال تعالى للملائكة : إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله له : رحمتك ربك ، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ } [الأنبياء : ٣٧] { فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ } [الأعراف : ١١]

وذكر القصة. وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب" . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

الثانية — قوله تعالى : { الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا } "الأسماء" هنا بمعنى العبارات ، فإن الاسم قد يطلق ويراد به المسمى ، كقولك : زيد قائم ، والأسد شجاع. وقد يراد به

التسمية ذاتها ، كقولك : أسد ثلاثة أحرف ، ففي الأول يقال : الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى ، وفي الثاني لا يراد المسمى ، وقد يجرى اسم في اللغة مجرى ذات العبارة وهو الأكثر من استعمالها .

ومنه قوله تعالى : { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } [البقرة : ٣١] على أشهر التأويلات ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن لله تسعة وتسعين اسما " . ويجري مجرى الذات ، يقال : ذات ونفس وعين واسم بمعنى ، وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى : { سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } [الأعلى : ١] { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ } [الرحمن : ٧٨] { إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا } [النجم : ٢٣] .

الثالثة — واختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها لآدم عليه السلام ، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها .

واللغة مأخوذة توقيفا ، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلا . وكذلك قال ابن عباس : علمه أسماء كل شيء حتى الجفنة والخلب . وروى شيبان عن قتادة قال : علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة ، وسمي كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه . قال النحاس : وهذا أحسن ما روي في هذا . والمعنى علمه أسماء الأجناس وعرفه منافعها ، هذا كذا ، وهو يصلح لكذا

الرابعة — واختلف المتأولون أيضا هل عرض على الملائكة أسماء الأشخاص أو

الأسماء دون الأشخاص ، فقال ابن مسعود وغيره : عرض الأشخاص لقوله تعالى : { عَرَضَهُمْ } وقوله : { أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ } وتقول العرب : عرضت الشيء فأعرض ، أي أظهرته فظهر .

الخامسة — واختلف في أول من تكلم باللسان العربي ، فروي عن كعب الأحبار : أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها بالألسنة كلها آدم عليه السلام . وقاله غير كعب الأحبار .

فإن قيل : قد روي عن كعب الأحمار من وجه حسن قال : أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام ، ورواه ثور ابن زيد عن خالد بن معدان عن كعب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين" .

وقد روي أيضا : أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان ، وقد روي غير ذلك .
و الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام ، والقرآن يشهد له ، قال الله تعالى : { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } [البقرة : ٣١] واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته

وبهذا جاءت السنة ، قال صلى الله عليه وسلم : "وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة" وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام. وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولا على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا ، والله أعلم. وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علمها الله آدم أو جبريل ،

قوله تعالى : { هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } شرط ، والجواب محذوف تقديره : إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض فأنبئوني ، قاله المبرد. ومعنى "صادقين" عالمين ، ولذلك لم يسغ للملائكة الاجتهاد وقالوا : "سبحانك!" حكاية النقاش قال : ولو لم يشترط عليهم إلا الصدق في الإنباء لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للذي أماته الله مائة عام حين قال له : { كَمْ لَبِثْتَ } فلم يشترط عليه الإصابة ، فقال ولم يصب ولم يعنف

السابعة- قال بعض العلماء : يخرج من هذا الأمر بالإنباء تكليف ما لا يطاق لأنه علم أنهم لا يعلمون. وقال المحققون من أهل التأويل : ليس هذا على جهة التكليف وإنما هو على جهة التقرير والتوقيف.

{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}

قوله تعالى : {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} فيه ثلاث

مسائل :

الأولى : قوله تعالى أي تزيها لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك. وهذا جوابهم عن قوله : {أَنْبِئُونِي} فأجابوا أنهم لا يعلمون إلا ما أعلمهم به ولم يتعاطوا ما لا علم لهم به كما يفعله الجهال منا. و"ما" في "ما علمتنا" بمعنى الذي ، أي إلا الذي علمتنا ، ويجوز أن تكون مصدرية بمعنى إلا تعليمك إيانا.

الثانية- الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ولا أدري ، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء ، لكن قد أخبر الصادق أن يموت العلماء يقبض العلم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون.

وأما ما ورد من الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فروى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي البقاع شر ؟ قال : "لا أدري حتى أسأل جبريل" فسأل جبريل ، فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل ، فجاء فقال : "خير البقاع المساجد ، وشرها الأسواق" .

وقال الصديق للجددة : ارجعي حتى أسأل الناس. وكان علي يقول : وأبردها علي الكبد ، ثلاث مرات. قالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول : الله أعلم. وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال : لا علم لي بها ، فلما أدبر الرجل. قال ابن عمر : نعم ما قال ابن عمر ، سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به!

الثانية : .قوله تعالى : {سُبْحَانَكَ} "سبحان" منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه ، يؤدي عن معنى نسبحك تسبيحا. وقال الكسائي : هو منصوب على أنه نداء مضاف. و {الْعَلِيمُ} فعيل للمبالغة والتكبير في المعلومات في خلق الله تعالى. و

{الحكيم} معناه الحاكم ، وبينهما مزيد المبالغة. وقيل معناه الحكيم وبجيء الحكيم على هذا من صفات الفعل

الآية : ٣٣ { قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ }

قوله تعالى : { قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ } فيه خمس

مسائل :

الأولى - قوله تعالى : { أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ } أمره الله أن يعلمهم بأسمائهم بعد أن عرضهم على الملائكة ليعلموا أنه أعلم بما سألم عنه تنبيها على فضله وعلو شأنه ، فكان أفضل منهم بأن قدمه عليهم وأسجدهم له وجعلهم تلامذته وأمرهم بأن يتعلموا منه. فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجودا له ، مختصا بالعلم.

الثانية - في هذه الآية دليل على فضل العلم وأهله ، وفي الحديث : " وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم " أي تخضع وتتواضع وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عباد الله ، لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأديت بذلك الأدب.

فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذلت إعظاما للعلم وأهله ، ورضا منهم بالطلب له والشغل به. هذا في الطلاب منهم فكيف بالأحبار فيهم والربانيين منهم جعلنا الله منهم وفيهم ، إنه ذو فضل عظيم.

الثالثة - قوله تعالى : { أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } دليل على أن أحدا لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله كالأنبياء أو من أعلمه من أعلمه الله تعالى فالمنجمون والكهان وغيرهم كذبة

الرابعة - قوله تعالى : { وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ } أي من قولهم : { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا } حكاه مكّي والماوردي. وقال الزهراوي : ما أبدوه هو بدارهم بالسجود لآدم.

{وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} قال ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير : المراد ما كتّمه إبليس في نفسه من الكبر والمعصية. قال ابن عطية : وجاء "تكتُمون" للجماعة ، والكاتم واحد في هذا القول على تجوز العرب واتساعها ، كما يقال لقوم قد جنى سفيه منهم : أنتم فعلتم كذا. أي منكم فاعله ، وهذا مع قصد تعنيف ، ومنه قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات : ٤] وإنما ناداه منهم عيئة ،

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}

فيه عشر مسائل :

الأولى - قوله تعالى : {وَإِذْ قُلْنَا} أي واذكر و: "قلنا" ولم يقل قلت لأن الجبار العظيم يخبر عن نفسه بفعل الجماعة تفخيما وإشادة بذكره. والملائكة جمع ملك ،
الثانية - قوله تعالى : {اسْجُدُوا} السجود معناه في كلام العرب التذلل والخضوع

الثالثة - استدل من فضل آدم وبنيه بقوله تعالى للملائكة : {اسْجُدُوا لِآدَمَ} . قالوا : وذلك يدل على أنه كان أفضل منهم. والجواب أن معنى {اسْجُدُوا لِآدَمَ} اسجدوا لي مستقبلين وجه آدم. وهو كقوله تعالى : {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ} [الإسراء : ٧٨] أي عند دلوك الشمس

وكقوله : {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص : ٧٢] أي فقعوا لي عند إتمام خلقه ومواجهتكم إياه ساجدين. والمسجود له لا يكون أفضل من الساجد بدليل القبلة. فإن قيل : فإذا لم يكن أفضل منهم فما الحكمة في الأمر بالسجود له ؟

قيل له : إن الملائكة لما استعظموا بتسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم. وقال بعضهم : عبروا آدم واستصغروه ولم

يعرفوا خصائص الصنع به فأمروا بالسجود له تكريماً. ويحتمل أن يكون الله تعالى أمرهم بالسجود له معاقبة لهم على قولهم : {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} لما قال لهم : {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة : ٣٠] وكان علم منهم أنه إن خاطبهم أنهم قائلون هذا ، فقال لهم : {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} [ص : ٧١] وجاعله خليفة ، فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.

والمعنى : ليكون ذلك عقوبة لكم في ذلك الوقت على ما أنتم قائلون لي الآن. فإن قيل : فقد استدل ابن عباس على فضل البشر بأن الله تعالى أقسم بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر : ٧٢]. وأمنه من العذاب بقوله : {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح : ٢].

وقال للملائكة : {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٢٩]. قيل له : إنما لم يقسم بحياة الملائكة كما لم يقسم بحياة نفسه سبحانه ، فلم يقل : لعمرى. وأقسم بالسماء والأرض ، ولم يدل على أنهما أرفع قدرا من العرش والجنان السبع. وأقسم بالتين والزيتون. وأما قول سبحانه : {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ} [الأنبياء : ٢٩] فهو نظير قوله لنبيه عليه السلام : {لَئِنِ اشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر : ٦٥] فليس فيه إذا دلالة ، والله أعلم.

الرابعة- واختلاف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاهم على أنه لم

يكن سجود عبادة ، فقال الجمهور : كان هذا أمرا للملائكة بوضع الجباه على الأرض ، كالسجود المعتاد في الصلاة ، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع ، وعلى هذا قيل : كان ذلك السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله ، وطاعة لله تعالى ، وكان آدم كالقبلة لنا. ومعنى "لآدم" : إلى آدم ، كما يقال صلى للقبلة ، أي إلى القبلة. وقال قوم : لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض ولكنه مبقى على أصل اللغة ، فهو من التذلل والانقياد ، أي اخضعوا لآدم وأقروا له بالفضل. {فَسَجَدُوا} أي امتثلوا ما أمروا به.

واختلف أيضا هل كان ذلك السجود خاصا بآدم عليه السلام فلا يجوز السجود

لغيره من جميع العالم إلا الله تعالى ، أم كان جائزا بعده إلى زمان يعقوب عليه السلام ، لقوله تعالى : { وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا } [يوسف : ١٠٠] فكان آخر ما أبيح من السجود للمخلوقين ؟ والذي عليه الأكثر أنه كان مباحا إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أصحابه قالوا له حين سجدت له الشجرة والجمل : نحن أولى بالسجود لك من الشجرة والجمل الشارد ، فقال لهم : " لا ينبغي أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين " .

روى ابن ماجة في سننه والبستي في صحيحه عن أبي واقد قال : لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما هذا " فقال : يا رسول الله ، قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم ، فأردت أن أفعل ذلك بك .

قال : " فلا تفعل فإني لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؛ لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه " .

الخامسة - قوله : {إِلَّا إِبْلِيسَ} نصب على الاستثناء المتصل ، لأنه كان من

الملائكة على قول الجمهور : ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم ، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن ، ورجحه الطبري ، وهو ظاهر الآية . قال ابن عباس : وكان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة وكان من الأجنحة الأربعة ثم أبلس بعد . روى سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان إبليس من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطانا . وحكى الماوردي عن قتادة : أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة . وقال سعيد بن جبير : إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم ، وخلق سائر الملائكة من نور . وقال ابن زيد والحسن

وقنادة أيضا : إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ولم يكن ملكا ، وروى نحوه عن ابن عباس وقال : اسمه الحارث. وقال شهر بن حوشب وبعض الأصوليين : كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب ، وحكاه الطبري عن ابن مسعود. والاستثناء على هذا منقطع ، مثل قوله تعالى : { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ } [النساء : ١٧٥] وقوله : { إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ } [المائدة : ٣]

واحتج بعض أصحاب هذا القول بأن الله جل وعز وصف الملائكة فقال : { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحریم : ٦] ، وقوله تعالى : { إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ } [الكهف : ٥٠] والجن غير الملائكة. أجاب أهل المقالة الأولى بأنه لا يمتنع أن يخرج إبليس من جملة الملائكة لما سبق في علم الله بشقائه عدلا منه ، لا يسأل عما يفعل ، وليس في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة حين غضب عليه ما يدفع أنه من الملائكة.

وقول من قال : إنه كان من جن الأرض فسي فقد روي في مقابلته أن إبليس هو الذي قاتل الجن في الأرض مع جند من الملائكة ، حكاه المهدوي وغيره. وحكى الثعلبي عن ابن عباس : أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم ، وخلقوا الملائكة من نور ، وكان اسمه بالسريانية عزازيل ، وبالعربية الحارث .

وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا وكان له سلطانها وسلطان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فرأى لنفسه بذلك شرفا وعظمة ، فذلك الذي دعاه إلى الكفر فعصى الله فمسخه شيطانا رجيمًا. فإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه ، وإن كانت خطيئته في معصية فارجه ، وكانت خطيئة آدم عليه السلام معصية ، وخطيئة إبليس كبرا. والملائكة قد تسمى جنا لاستتارها ، وفي التنزيل : { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا } [الصافات : ١٥٨]

السادسة - قوله تعالى : {أَبَى} معناه امتنع من فعل ما أمر به ، ومنه الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله - وفي رواية : يا ويلى - أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار" . خرجه مسلم. يقال : أباى إباء ،

السابعة - قوله تعالى : {وَاسْتَكْبَرَ} الاستكبار : الاستعظام ، فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم ، فكان ترك السجود لآدم تسفيها لأمر الله وحكمته. وعن هذا الكبر عبر عليه السلام بقوله : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر" . في رواية فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال : "إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس" . أخرجه مسلم. ومعنى بطر الحق وإبطاله. وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم.

وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال : {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} [ص : ٧٦]. {أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} [الإسراء : ٦١]. {قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر : ٢٦] فكفره الله بذلك. فكل من سفه شيئا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حكمه حكمه ، وهذا ما لا خلاف فيه.

وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد إبليس آدم ، وشح آدم في أكله من الشجرة. وقال قتادة : حسد إبليس آدم ، على ما أعطاه الله من الكرامة فقال : أنا ناري وهذا طيني. وكان بدء الذنوب الكبر ، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة ، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه.

الثامنة - قوله تعالى : {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} قيل : كان هنا بمعنى صار ، ومنه قوله تعالى : {فَكَانَ مِنَ الْمُهْرَقِينَ}

فلذلك قال : أنا خير منه ، ولذلك قال الله عز وجل : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } [ص : ٧٥] أي استكبرت ولا كبر لك ، ولم أتكبر أنا حين خلقته بيدي والكبر لي فلذلك قال : { وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [ص : ٧٤] . وكان أصل خلقته من نار العزة ، ولذلك حلف بالعزة فقال : { فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [ص : ٨٢] فالعزة أورثته الكبر حتى رأى الفضل له على آدم عليه السلام. وعن أبي صالح قال : خلقت الملائكة من نور العزة وخلق إبليس من نار العزة.

التاسعة- والعاشره- الآيه : ٣٥ { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ }
فيه ثلاث عشرة مسألة :

الأولى- قوله تعالى : { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ } لا خلاف أن الله تعالى أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنة ، وبعد إخراجه قال لآدم : اسكن ، أي لازم الإقامة واتخذها مسكنا ، وهو محل السكون. وسكن إليه يسكن سكونا. والسكن : كل ما سكن إليه

الثانية- في قوله تعالى : { اسْكُنْ } تبيينه على الخروج ، لأن السكنى لا تكون ملكا ، ولهذا قال بعض العارفين : السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع ، فدخلوهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة.

الثالثة- قوله تعالى : { أَنْتَ وَزَوْجُكَ } "أنت" تأكيد للمضمرة الذي في الفعل ، ومثله { فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ } . ولا يجوز اسكن وزوجك ، ولا اذهب وربك ،

الرابعة- قوله تعالى : { وَزَوْجُكَ } لغة القرآن "زوج" بغير هاء ، وقد جاء في صحيح مسلم : "زوجة" حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع إحدى نسائه فمر به

رجل فدعاه فجاء فقال : "يا فلان هذه زوجتي فلانة" : فقال يا رسول الله ، من كنت أظن به فلم أكن أظن بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم" .

وزوج آدم عليه السلام هي حواء عليها السلام ، وهو أول من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير أن يحس آدم عليه السلام بذلك ، ولو ألم بذلك لم يعطف رجل على امرأته ، فلما انتبه قيل له : من هذه ؟ قال : امرأة قيل : وما اسمها ؟ قال : حواء ، قيل : ولم سميت امرأة ؟ قال : لأنها من المرء أخذت ، قيل : ولم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من حي . روي أن الملائكة سألته عن ذلك لتجرب علمه ، وأهم قالوا له : أتحبها يا آدم ؟ قال : نعم ، قالوا لحواء : أتحيينه يا حواء ؟ قالت : لا ، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه . قالوا : فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء .

وقال ابن مسعود وابن عباس : لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشا ، فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها ، فلما انتبه رآها فقال : من أنت ؟ قالت : امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلي ، وهو معنى قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الزمر : ٦] . قال العلماء : ولهذا كانت المرأة عوجاء ، لأنها خلقت من أعوج وهو الضلع . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن المرأة خلقت من ضلع - في رواية : وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه - لن تستقيم لك على طريقة واحدة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتمها وكسرتمها طلاقها

الخامسة - قوله تعالى : {الجنة} الجنة : البستان ، وقد تقدم القول فيها . ولا التفات لما ذهبت إليه المعتزلة والقدرية من أنه لم يكن في جنة الخلد وإنما كان في جنة بأرض عدن . واستدلوا على بدعتهم بأنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليه إبليس ، فإن الله يقول : {لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ} [الطور : ٢٣] وقال {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا

وَلَا كِذَّابًا} [النبا : ٣٥] وقال : { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا . إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا } [الواقعة : ٢٥] . وأنه لا يخرج منها أهلها لقوله : { وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } [الحجر : ٤٨] . وأيضا فإن جنة الخلد هي دار القدس ، قدست عن الخطايا والمعاصي تطهيرا لها . وقد لغا فيها إبليس وكذب ، وأخرج منها آدم وحواء بمعصيتهما قالوا : وكيف يجوز على آدم مع مكانه من الله وكمال عقله أن يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد والمملك الذي لا يبلى ؟ فالجواب : أن الله تعالى عرف الجنة بالألف واللام .

ومن قال : أسأل الله الجنة ، لم يفهم منه في تعارف الخلق إلا طلب جنة الخلد . ولا يستحيل في العقل دخول إبليس الجنة لتغريير آدم ، وقد لقي موسى آدم عليهما السلام فقال له موسى : أنت أشقيت ذريتك وأخرجتهم من الجنة ، فأدخل الألف واللام ليبدل على أنها جنة الخلد المعروفة ، فلم ينكر ذلك آدم ، ولو كانت غيرها لرد على موسى .

فلما سكت آدم على ما قرره موسى صح أن الدار التي أخرجهم الله عز وجل منها بخلاف الدار التي أخرجوا إليها . وأما ما احتجوا به من الآي فذلك إنما جعله الله فيها بعد دخول أهلها فيها يوم القيامة ، ولا يمتنع أن تكون دار الخلد لمن أراد الله تخليده فيها وقد يخرج منها من قضى عليه بالفناء . وقد أجمع أهل التأويل على أن الملائكة يدخلون الجنة على أهل الجنة ويخرجون منها ، وقد كان مفاتيحها بيد إبليس ثم انتزعت منه بعد المعصية ، وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ثم خرج منها وأخبر بما فيها وأنها هي جنة الخلد حقا .

وأما قولهم : إن الجنة دار القدس وقد طهرها الله تعالى من الخطايا فجهل منهم ، وذلك أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة وهي الشام ، وأجمع أهل الشرائع على أن الله تعالى قدسها وقد شوهد فيها المعاصي والكفر والكذب ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي ، وكذلك دار القدس . قال أبو الحسن بن بطال :

وقد حكى بعض المشايخ أن أهل السنة مجمعون على أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم عليه السلام ، فلا معنى لقول من خالفهم.

وقولهم : كيف يجوز على آدم في كمال عقله أن يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد ، فيعكس عليهم ويقال : كيف يجوز على آدم وهو في كمال عقله أن يطلب شجرة الخلد في دار الفناء هذا ما لا يجوز على من له أدنى مسكة من عقل ، فكيف بآدم الذي هو أرجح الخلق عقلا ،

السادسة- قوله تعالى : { وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا } والرغد : العيش الدار المهني الذي لا عناء

السابعة- قوله تعالى : { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } أي لا تقرباها بأكل ، وقال بعض أرباب المعاني قوله : " ولا تقربا " إشعار بالوقوع في الخطيئة والخروج من الجنة ، وأن سكناه فيها لا يدوم ، لأن المخلد لا يحظر عليه شيء ولا يؤمر ولا ينهى .
والدليل على هذا قوله تعالى { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة : ٣٠] فدل على خروجه منها.

الثامنة- قوله تعالى : { هَذِهِ الشَّجَرَةُ } الاسم المبهم ينعت بما فيه الألف واللام لا غير ، كقولك : مررت بهذا الرجل وبهذه المرأة وهذه الشجرة.

التاسعة : واختلف أهل التأويل في تعيين هذه الشجرة التي نهي عنها فأكل منها وقال القشيري أبو نصر : وكان الإمام والدي رحمه الله يقول : يعلم على الجملة أنها كانت شجرة الحنة.

العاشرة- واختلفوا كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى :

{ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } ، فقال قوم أكلا من غير التي أشير إليها فلم يتأولا النهي واقعا على جميع جنسها ،

وفي هذا يقول القرطبي : قد استنبط بعض العلماء نبوة آدم عليه السلام قبل إسكانه

الجنة من قوله تعالى : { فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ } [البقرة : ٣٣] فأمره الله تعالى أن يبيئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله جل وعز. وقيل : أكلها ناسيا ، ومن الممكن أنهما نسيا الوعيد.

وأضاف : وهو الصحيح لإخبار الله تعالى في كتابه بذلك حتما وجزما فقال : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } [طه : ١١٥]. ولكن لما كان الأنبياء عليهم السلام يلزمهم من التحفظ واليقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم كان تشاغله عن تذكر النهي تضييعا صار به عاصيا ، أي مخالفا. وإن النهي إذا كان معلقا على فعلين لا تتحقق المخالفة إلا بهما .

لأنك إذا قلت : لا تدخل الدار ، فدخل أحدهما ما وجدت المخالفة منهما ، لأن قول الله تعالى { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } [البقرة : ٣٥] هي لهما { فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : ٣٥] جوابه ، فلا يكونا من الظالمين حتى يفعلا ، فلما أكلت لم يصبها شيء ، لأن المنهي عنه ما وجد كاملا.

وخفي هذا المعنى على آدم فطمع ونسي هذا الحكم ، وهو معنى قوله تعالى : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ } [طه : ١١٥] وقيل : نسي قوله : { إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } [طه : ١١٥]. والله أعلم.

الحادية عشرة- قوله تعالى : { فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } "فتكونا" الظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه. قوله تعالى { وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا } أي أكلا رغدا. { حَيْثُ } مبنية على الضم ، لأنها خالفت أخواتها الظروف في أنها لا تضاف ، فأشبهت قبل وبعد إذا أفردتا فضمت { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } { فَتَكُونَا } عطف علي "تقربا" { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } {

قوله تعالى : { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } وفيه عشر مسائل :

الأولى - قوله تعالى : { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا } قرأ الجماعة "فأزلهما" بغير ألف ، من الزلة وهي الخطيئة ، أي استزلهما وأوقعهما فيها. وقرأ حمزة "فأزالهما" بألف ، من التنحية ، أي نحاهما. يقال : أزلته فزال. قال ابن كيسان : فأزالهما من الزوال ، أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية.

{ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ } والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزلل بالمعصية ، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان ، إنما قدرته [على] إدخاله في الزلل ، فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان يذنبه.

الثانية - قوله تعالى : { فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } إذا جعل أزال من زال عن المكان فقوله : "فأخرجهما" تأكيد وبيان للزوال ، إذ قد يمكن أن يزولا عن مكان كانا فيه إلى مكان آخر من الجنة ، وليس كذلك ، وإنما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض ، لأنهما خلقا منها ، وليكون آدم خليفة في الأرض. ولم يقصد إبليس - لعنه الله - إخراجها منها وإنما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أبعد هو ، فلم يبلغ مقصده ولا أدرك مراده ، بل ازداد سخنة عين وغيظ نفس وخيبة ظن. قال الله جل ثناؤه : { ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى } [طه : ١٢٢]

فصار عليه السلام خليفة الله في أرضه بعد أن كان جارا له في داره ، فكم بين الخليفة والجار صلى الله عليه وسلم. ونسب ذلك إلى إبليس ، لأنه كان بسببه وإغوائه. ولا خلاف بين أهل التأويل وغيرهم أن إبليس كان متولي إغواء آدم ، واختلف في الكيفية ، فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء أغواهما مشافهة ، ودليل ذلك قوله تعالى : { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُ مِّنَ النَّاصِحِينَ } والمقاسمة ظاهرها المشافهة.

الثالثة— أن إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعد ما أخرج منها وإنما أغوى بشيطانه وسلطانه ووسواسه التي أعطاه الله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" . والله أعلم.

روى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "خمس يقتلهن المحرم فذكر الحية فيهن. وروى أن إبليس قال لها : أدخليني الجنة وأنت في ذمتي ، فكان ابن عباس يقول : أخفروا ذمة إبليس. وروت ساكنه بنت الجعد عن سراء بنت نبهان الغنوية قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقتلوا الحيات صغيرة وكبيرها وأسودها وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيدا" .

قال علماءنا : وإنما كانت له فداء من النار لمشاركتها إبليس وإعانتة على ضرر آدم وولده ، فذلك كان من قتل حية فكأنما قتل كافرا. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا" . أخرجه مسلم وغيره.

الرابعة— روى ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم : بمنى فمرت حية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اقتلوها" فسبقتنا إلى حجر فدخلته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هاتوا بسعفة ونار فأضرموها عليه نارا" .

وهذا الحديث يخص نهي عليه السلام عن المثلة وعن أن يعذب أحد بعذاب الله تعالى ، قالوا : فلم يبق لهذا العدو حرمة حيث فاتته حتى أوصل إليه الهلاك من حيث قدر. فإن قيل : قد روي عن إبراهيم النخعي أنه كره أن تحرق العقرب بالنار ، وقال : هو مثلة. قيل له : يحتمل أن يكون لم يبلغه هذا الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمل على الأثر الذي جاء : " لا تعذبوا بعذاب الله" فكان على هذا سبيل العمل عنده.

فإن قيل : فقد روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبي صلى الله عليه

وسلم في غار وقد أنزلت عليه : {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١] فنحن نأخذها من فيه رطبة ، إذ خرجت علينا حية ، فقال : "اقتلوها" ، فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وقاها الله شركم كما وقاكم شرها" .

فلم يضرم ناراً ولا احتال في قتلها. قيل له : يحتمل أن يكون لم يجد ناراً فتركها ، أو لم يكن الحجر بهيئة ينتفع بالنار هناك مع ضرر الدخان وعدم وصوله إلى الحيوان. والله أعلم. وقوله : "وقاها الله شركم" أي قتلكم إياها "كما وقاكم شرها" أي لسعها.

الخامسة— الأمر بقتل الحيات من باب الإرشاد إلى دفع المضرة المخوفة من الحيات ، فما كان منها متحقق الضرر وجبت المبادرة إلى قتله ، لقوله : "اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفتين والأبتر فإنهما يخطفان البصر ويسقطان الجبل" . فخصهما بالذكر مع أنهما دخلا في العموم ونبه على ذلك بسبب عظم ضررهما.

وما لم يتحقق ضرره فما كان منها في غير البيوت قتل أيضاً لظاهر الأمر العام ، ولأن نوع الحيات غالبه الضرر ، فيستصحب ذلك فيه ، ولأنه كله مروع بصورته وبما في النفوس من النفرة عنه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : "إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية" . فشجع على قتلها.

السادسة— ما كان من الحيات في البيوت فلا يقتل حتى يؤذن ثلاثة أيام ، لقوله عليه السلام : "إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام" . وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على المدينة وحدها لإسلام الجن بها ، قالوا : ولا نعلم هل أسلم من جن غير المدينة أحد أو لا ، قاله ابن نافع. وقال مالك : فهم عن قتل جنان البيوت في جميع البلاد.

وهو الصحيح ، لأن الله عز وجل قال : { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } [الأحقاف : ٢٩] الآية. وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن" وفيه : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة ،

السابعة- روى الأئمة عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، قال : فوجدته يصلي ، فجلست انتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكا في عراجين ناحية البيت ، فالتفت فإذا حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلي أن أجلس فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال : أترى هذا البيت ؟ فقلت نعم ، فقال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوما .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة" . فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيرة ، فقالت له : اكفف عليك رمحك ، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمتها به ، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما كان أسرع موتا ، الحية أم الفتى

قال : فجعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يحييه لنا ، فقال : "استغفروا لأخيكم - ثم قال : - إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان" . وفي طريق أخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئا منها فخرجوا عليها ثلاثا فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر - وقال لهم : - اذهبوا فادفنوا صاحبكم" .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا يفهم من هذا الحديث أن هذا الجان الذي قتله هذا الفتى كان مسلما وأن الجن قتلته به قصاصا ، لأنه لو سلم أن القصاص مشروع بيننا وبين الجن لكان إنما يكون في العمد الخض ، وهذا الفتى لم يقصد ولم يتعمد قتل نفس مسلمة ، إذ لم يكن عنده علم من ذلك ، وإنما قصد إلى قتل ما سوغ قتل نوعه شرعا ، فهذا قتل خطأ ولا قصاص فيه. فالأولى أن يقال : إن كفار الجن أو فسقتهم قتلوا بصاحبهم عدوا وانتقاما.

وقد قتلت سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وذلك أنه وجد ميتا في مغتسله وقد اخضر جسده ، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول ولا يرون أحدا قد قتلنا سيد الخز ... رج سعد بن عبادة ورميناه بسهمي ... ن فلم نخط فؤاده وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن بالمدينة جنا قد أسلموا " ليبين طريقا يحصل به التحرز من قتل المسلم منهم ويتسلط به على قتل الكافر منهم. روي من وجوه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جانا فأريت في المنام أن قائلا يقول لها : لقد قتلت مسلما .

فقلت : لو كان مسلما لم يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ما دخل عليك إلا وعليك ثيابك. فأصبحت فأمرت باثني عشر ألف درهم فجعلت في سبيل الله. وفي رواية : ما دخل عليك إلا وأنت مستترة ، فتصدقت وأعتقت رقابا. وقال الربيع بن بدر : الجان من الحيات التي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلها هي التي تمشي ولا تلتوي ،

الثامنة— في صفة الإنذار ، قال مالك : أحب إلي أن ينذروا ثلاثة أيام. وقاله عيسى بن دينار ، وإن ظهر في اليوم مرارا. ولا يقتصر على إنذاره ثلاث مرار في يوم واحد حتى يكون في ثلاثة أيام. وقيل : يكفي ثلاث مرار ، لقوله عليه السلام : " فليؤذنه ثلاثا " ، وقوله : " حرجوا عليه ثلاثا " ولأن ثلاثا للعدد المؤنث ، فظهر أن المراد ثلاث مرار.

وقول مالك أولى ، لقوله عليه السلام : "ثلاثة أيام" . وهو نص صحيح مقيد لتلك المطلقات ، ويحمل ثلاثا على إرادة ليالي الأيام الثلاث ، فغلب الليلة على عادة العرب في باب التاريخ فإنها تغلب فيها التأنيث. قال مالك : ويكفي في الإنذار أن يقول : أخرج عليك بالله واليوم الآخر ألا تبدوا لنا ولا تؤذونا. وذكر ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنه ذكر عنده حيات البيوت

فقال : إذا رأيتم منها شيئا في مساكنكم فقولوا : أنشدكم بالعهد الذي أخذ عليكم نوح عليه السلام ، وأنشدكم بالعهد الذي أخذ عليكم سليمان عليه السلام ، فإذا رأيتم منهن شيئا بعد فاقتلوه.

وهذا يدل بظاهره أنه يكفي في الإذن مرة واحدة ، والحديث يردده. والله أعلم. وقد حكى ابن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول : "أنشدكن بالعهد الذي أخذ عليكن سليمان - عليه السلام - ألا تؤذينا وألا تظهرن علينا"

التاسعة - روى جبير عن نفيير عن أبي ثعلبة الخشني - واسمه جرثوم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الجن على ثلاثة أثلاث فثلث لهم أجنحة يطفرون في الهواء وثلث حيات وكلاب وثلث يجلون ويظعنون" .

وروى أبو الدرداء - واسمه عويمر بن عامر الأنصاري - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلق الجن ثلاثة أثلاث فثلث كلاب وحيات وخشاش الأرض وثلث ريح هفافة وثلث كبيي آدم لهم الثواب وعليهم العقاب وخلق الله الإنس ثلاثة أثلاث فثلث لهم قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وثلث أجسادهم كأجساد بني آدم وقلوبهم قلوب الشياطين وثلث في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله

العاشر - ما كان من الحيوان أصله الإذابة فإنه يقتل ابتداء ، لأجل إذابته من غير خلاف ، كالحية والعقرب والفأر والوزغ ، وشبهه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم...". وذكر الحديث. فالحية أبدت جوهرها الخبيث حيث خانت آدم بأن أدخلت إبليس الجنة بين فكيها ،

ولو كانت تبرزه ما تركها رضوان تدخل به. وقال لها إبليس أنت في ذمتي ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها وقال : "اقتلوهما ولو كنتم في الصلاة" يعني الحية والعقرب. والوزغة نفخت على نار إبراهيم عليه السلام من بين سائر الدواب فلعنت. وهذا من نوع ما يروى في الحية. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قتل وزغة فكأما قتل كافرا".

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : " من قتل وزغة في أول ضربة كتبت له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك" وفي رواية أنه قال : "في أول ضربة سبعون حسنة" .

والفأرة أبدت جوهرها بأن عمدت إلى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها. وروى عبدالرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يقتل الحرم الحية والعقرب والحدأة والسبع العادي والكلب العقور والفويسقة" . واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذت فتيلة لتحرق البيت فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها. والغراب أبدى جوهره حيث بعثه نبي الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره وأقبل على جيفة. قوله تعالى {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} وفيه سبع

مسائل :

الأولى - {وَقُلْنَا اهْبِطُوا} والخطاب لآدم وحواء والحية والشيطان ، والهبوط : النزول من فوق إلى أسفل ، فأهبط آدم بسرنديب في الهند بجبل يقال له "بوذ" ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها وأوديتها فامتلاً ما هناك طيبا ، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح آدم عليه السلام. وكان السحاب يمسح رأسه فأصلع ، فأورث ولده الصلع. وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

"خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا" الحديث. وأخرجه مسلم وأهبطت حواء بجدة وإبليس بالأبلة ، والحية ببيسان ، وقيل : بسجستان. وسجستان أكثر بلاد الله حيات

، ولولا العربد الذي يأكلها ويفني كثيرا منها لأخلت سجستان من أجل الحيات ، ذكره أبو الحسن المسعودي .

الثانية — قوله تعالى {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} "بعضكم" مبتدأ ، "عدو" خبره والتقدير وهذه حالكم . والعدو : خلاف الصديق ، وهو من عدا إذا ظلم . وذئب عدوان : يعدو على الناس . والعدوان : الظلم الصراح . وقيل : هو مأخوذ من الجاوزة ، من قولك : لا يعدوك هذا الأمر ، أي لا يتجاوزك . وعداه إذا جاوزه ، فسمي عدوا مجاوزة الحد في مكروه صاحبه ، ومنه العدو بالقدم مجاوزة الشيء ، والمعنيان متقاربان ، فإن من ظلم فقد تجاوز .

قال القرطبي : وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى : {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [البقرة : ٣٦] على الإنسان نفسه ، وفيه بعد وإن كان صحيحا معنى . يدل عليه قوله عليه السلام : "إن العبد إذا أصبح تقول جوارحه للسانه اتق الله فينا فإنك إذا استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا" .

فإن قيل : كيف قال "عدو" ولم يقل أعداء ، ففيه جوابان أحدهما : أن بعضا وكلا يخبر عنهما بالواحد على اللفظ وعلى المعنى ، وذلك في القرآن ، قال الله تعالى : {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم : ٩٥] على اللفظ ، وقال تعالى : {وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَاخِرِينَ} [النمل : ٨٧] على المعنى . والجواب الآخر : أن عدوا يفرد في موضع الجمع ، قال الله عز وجل : {وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠] بمعنى أعداء ، وقال تعالى : {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ} [المنافقون : ٤] . وقال ابن فارس : العدو اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والتأنيث ، وقد يجمع .

الثالثة — لم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته وإنما أهبطه إما تأديبا وإما تغليظا للمحنة والصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك وهي نشر نسله

فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخرى إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت تلك الأكلة سبب إهباطه من الجنة والله أن يفعل ما يشاء وقد قال {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة

الرابعة- قوله تعالى : {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} أي موضع استقرار.

الخامسة- قوله تعالى : {وَمَتَاعٌ} المتاع ما يستمتع به من أكل ولبس وحية

السادسة- قوله تعالى : {إِلَىٰ حِينٍ} اختلف المتأولون في الحين على أقوال ، فقالت فرقة إلى الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام في الدنيا وقيل إلى قيام الساعة ، والحين أيضا : المدة ومنه قوله تعالى : {هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ} [الإنسان : ١] والحين الساعة قال الله تعالى {أَوْ تَقُولَ حِينٌ تَرَى الْعَذَابَ} [الزمر : ٥٨]

قال ابن عرفة الحين القطعة من الدهر كالساعة فما فوقها وقوله "فذرهم في غمرهم حتى حين" {المؤمنون : ٥٤} أي حتى تفنى آجالهم وقوله تعالى {تُؤْتِي أكلها كل حين} {إبراهيم : ٢٥} أي كل سنة وقيل بل كل ستة أشهر وقيل بل غدوة وعشيا قال الأزهري {تُؤْتِي أكلها كل حين}

حين : اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت. والمعنى أنه ينتفع بها في كل وقت ولا ينقطع نفعها البتة قال والحين يوم القيامة. والحين الغدوة والعشية قال الله تعالى {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧] ويقال عاملته محابنة من الحين وأحييت بالمكان إذا أقمت به حيننا وحين كذا أي قرب.

السابعة- لما اختلف أهل اللسان في الحين اختلف فيه أيضا علماؤنا وغيرهم في فقال الفراء الحين حينان حين لا يوقف على حده ؛ والحين الذي ذكر الله جل ثناؤه {تُؤْتِي أكلها كل حين يَأْذَنُ رَبُّهَا} {إبراهيم : ٢٥} ستة أشهر : قال ابن العربي الحين

الجهول لا يتعلق به حكم والحين المعلوم هو الذي تتعلق به الأحكام ويرتبط به التكليف وأكثر المعلوم سنة.

الآية : ٣٧ {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}
 قوله تعالى : {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} وفيه ثمان
 مسائل :

الأولى - قوله تعالى {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} تلقى قيل معناه فهم وفطن.
 وقيل : قبل وأخذ وكان عليه السلام يتلقى الوحي أي يستقبله ويأخذه ويتلقفه.
 تقول خرجنا نتلقى الحجيج أي نستقبلهم.

الثانية - واختلف أهل التأويل في الكلمات ، فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد هي قوله {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف : ٢٣] وعن مجاهد أيضا : سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ربي ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم : وقالت طائفة رأى مكتوبا على ساق العرش "محمد رسول الله" فتشفع بذلك ، فهي الكلمات. وقالت طائفة : المراد بالكلمات البكاء والحياء والدعاء وقيل : الندم والاستغفار والحزن.

قال ابن عطية : وهذا يقتضي أن آدم عليه السلام لم يقل شيئا إلا الاستغفار المعهود.
 وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقول المذنب فقال يقول ما قاله أبواه {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} الآية وقال موسى {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [القصص : ١٦]
 وقال يونس {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : ٨٧]

وعن ابن عباس ووهب بن منبه : أن الكلمات "سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي اغفر لي إنك خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم"

وقال محمد بن كعب هي قوله : " لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمي إنك أنت الغفور الرحيم. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمي إنك أرحم الراحمين"

الثالثة— قوله تعالى : {فَتَابَ عَلَيْهِ} أي قبل توبته ، أو وفقه للتوبة. وكان ذلك في يوم عاشوراء في يوم جمعة وتاب العبد : رجوع إلى طاعة ربه وعبد تواب : كثير الرجوع إلى الطاعة وأصل التوبة الرجوع يقال : تاب وثاب وأب وأتاب : رجوع.

الرابعة— إن قيل : لم قال "عليه" لم يقل عليهما وحواء مشاركة له في الذنب

يجماع وقد قال {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} [البقرة : ٣٥] و {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} [الأعراف : ٢٣] فالجواب : أن آدم عليه السلام لما خاطب في أول القصة بقوله "اسكن" خصه بالذكر في التلقي فلذلك كملت القصة بذكره وحده وأيضا فلأن المرأة حرمه ومستورة فأراد الله الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه : ١٢١]

وأيضا لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر لم تذكر كما لم يذكر فتى موسى مع موسى في قوله {أَلَمْ أَقُلْ لَكَ} [الكهف : ٧٥] وقيل : إنه دل بذكر التوبة عليه أنه تاب عليها إذ أمرهما سواء ، قاله الحسن. وقيل : إنه مثل قوله تعالى {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا اتْفَتُّوا إِلَيْهَا} [الجمعة : ١١] أي التجارة لأنها كانت مقصود القوم فأعاد الضمير عليها ولم يقل إليهما والمعنى متقارب. وفي التزئيل {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ} [التوبة : ٦٢] فحذف إيجازا واختصارا

الخامسة— قوله تعالى : {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} وصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه التواب ، وقد يطلق على العبد أيضا تواب قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة : ٢٢٢]. قال ابن العربي : ولعلمائنا في وصف الرب

بأنه تواب ثلاثة أقوال أحدها : أنه يجوز في حق الرب سبحانه وتعالى فيدعى به كما في الكتاب والسنة ولا يتأول

وقال آخرون : هو وصف حقيقي لله سبحانه وتعالى وتوبة الله على العبد رجوعه من حال المعصية إلى حال الطاعة وقال آخرون : توبة الله على العبد قبوله توبته ، وذلك يَحْتَمِلُ أن يرجع إلى قوله سبحانه وتعالى قبلت توبتك وأن يرجع إلى خلقه الإنابة والرجوع في قلب المسيء وإجراء الطاعات على جوارحه الظاهرة.

لا يجوز أن يقال في حق الله تعالى : تائب اسم فاعل من تاب يتوب ولا يجوز لنا أن نطلق عليه من الأسماء والصفات إلا ما أطلقه هو على نفسه أو نبيه عليه السلام أو جماعة المسلمين ، قال الله تعالى {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة : ١١٧]

وقال : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [التوبة : ١٠٤] وإنما قيل لله عز وجل تواب ، لمبالغة الفعل وكثرة قبوله توبة عباده لكثرة من يتوب إليه.

السادسة— اعلم أنه ليس لأحد قدرة على خلق التوبة ، لأن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بخلق الأعمال ، خلافا للمعتزلة ومن قال بقولهم. وكذلك ليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه ولا أن يعفو عنه قال علماؤنا : وقد كفرت اليهود والنصارى بهذا الأصل العظيم في الدين {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة : ٣١] جل وعز ، وجعلوا لمن أذنب أن يأتي الحبر أو الراهب فيعطيه شيئا ويحط عنه ذنوبه {افْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [الأنعام : ١٤٠]

السابعة— قرأ ابن كثير {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} والباقون برفع "آدم" ونصب "كلمات" والقراءتان ترجعان إلى معنى ، لأن آدم إذا تلقى الكلمات فقد تلقته.

الآية : ٣٨ { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }

قوله تعالى : { قُلْنَا اهْبِطُوا } كرر الأمر على جهة التخليط وتأكيده ، كما تقول لرجل : قم قم. وقيل : كرر الأمر لما علق بكل أمر منهما حكما غير حكم الآخر فعلق بالأول العداوة والثاني إتيان الهدى. وقيل : الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثاني من السماء إلى الأرض وعلى هذا يكون فيه دليل على أن الجنة في السماء السابعة كما دل عليه حديث الإسراء

{ جَمِيعًا } نصب على الحال وقال وهب بن منبه : لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال إبليس للسباع إن هذا عدو لكم فأهلكوه فاجتمعوا وولوا أمرهم إلى الكلب وقالوا أنت أشجعنا وجعلوه رئيسا فلما رأى ذلك آدم عليه السلام تحير في ذلك فجاءه جبريل عليه السلام وقال له امسح يدك على رأس الكلب ففعل فلما رأت السباع أن الكلب ألف آدم تفرقوا واستأنه الكلب فأمنه آدم فبقى معه ومع أولاده

وأن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض جاء إبليس إلى السباع فأشلاهم على آدم ليؤذوه وكان أشدهم عليه الكلب فأميت فؤاده فروي في الخبر أن جبريل عليه السلام أمره أن يضع يده على رأسه فوضعها فاطمأن إليه وألفه فصار ممن يحرسه ويجرس ولده ويألفهم ويموت فؤاده يفرغ من الآدميين فلو رمي بمدرك ولى هاربا ثم يعود آلفا لهم ففيه شعبة من إبليس وفيه شعبة من مسحة آدم عليه السلام فهو بشعبة إبليس ينبح وبهر ويعدو على الآدمي وبمسحة آدم مات فؤاده حتى ذل وانقاد وألف به وبولده يحرسهم وهتته على كل أحواله من موت فؤاده ولذلك شبه الله سبحانه وتعالى العلماء السوء بالكلب

قوله تعالى : { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى } اختلف في معنى قوله "هدى" فقيل : كتاب الله قاله السدي وقيل التوفيق للهداية ، وقالت فرقة : الهدى الرسل ، وهي إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر كما جاء في حديث أبي ذر وخرجه الآجري وفي قوله "مني" إشارة إلى أن أفعال العباد خلق الله تعالى خلافا للقدرية وغيرهم كما تقدم.

قال النحاس : وعلّة هذه اللغة عند الخليل وسيبويه أن سبيل ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها فلما لم يجوز أن تتحرك الألف أبدلت ياء وأدغمت و"ما" في قوله إمّا {إمّا} زائدة على "إن" التي للشرط وجواب الشرط الفاء مع الشرط الثاني في قوله {فَمَنْ تَبِعَ} و"من" في موضع رفع بالابتداء و"تبع" في موضع جزم بالشرط "فلا خوف" جوابه قال سيبويه الشرط الثاني وجوابه هما جواب الأول وقال الكسائي {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} جواب الشرطين جميعاً

قوله تعالى : {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} الخوف هو الذعر ولا يكون إلا في المستقبل وخوافني فلان فخفته أي كنت أشد خوفاً منه والتخوف التنقص ومنه قوله تعالى {أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} [النحل : ٤٧] وقرأ الزهري والحسن وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق ويعقوب "فلا خوف" بفتح الفاء على التبرئة والاختيار عند النحويين الرفع والتنوين على الابتداء لأن الثاني معرفة لا يكون فيه إلا الرفع لأن "لا" لا تعمل في معرفة فاختاروا في الأول الرفع أيضاً ليكون الكلام من وجه واحد ويجوز أن تكون "لا" في قولك فلا خوف بمعنى ليس.

والحزن والحزن ضد السرور ، والمعنى في الآية فلا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وقيل : ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا والله أعلم.

٢- العهد لإبراهيم عليه السلام

يذكر كتاب العهد القديم أموراً غاية في الغرابة ومنها العهد المزعوم الي وضعه الأبحار كذبا وافتراء فقالوا :

وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ، وَإِذَا رُعبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَقِعةٌ عَلَيْهِ.
^{١٣} فَقَالَ لِأَبْرَامَ: «اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذَلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أُدِينُهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاكٍ جَزِيلَةٍ.
^{١٤} وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلَامٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةِ صَالِحَةٍ. وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى هَهُنَا، لِأَنَّ ذَنْبَ الأُمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى

الآن كاملاً». ^{١٧} ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع.

^{١٨} في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: «لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. ^{١٩} القينيين والقنزيين والقدمونيين ^{٢٠} والحنثيين والفرزيين والرفائيين ^{٢١} والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين».

فكل الذي شغل بال اليهود والنصارى هو اغتصاب الأراضي وسرقة الشعوب والعجيب أنهم سجلوها في كتب يقدسونها والأعجب هو أنهم أوهموا أولادهم أن هذا فرض عليهم ولذا وجدناهم يقاتلون بشراسة في الحروب الصليبية وغيرها من الحروب التي نعاني منها الآن .

وهذا عهد مكذوب لأنه لم يقم أحدا من الأنبياء الذين جاءوا بعد نبي الله إبراهيم بتحقيق هذا العهد ولقد حظي عدد منهم بمكانة عالية مثل يوسف وداود وسليمان عليهم السلام فلما لم يحققوا هذا العهد؟ إما أنهم لا علم لهم به وإما أنهم مقصرين؛ وحاشاهم ذلك .

هذا ما كان من العهد القديم فياترى كيف تناول القرآن الكريم هذا العهد؟

فيقول الحق تبارك وتعالى {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} فيه عشرون مسألة :

الأولى : الابتلاء : الامتحان والاختبار ، ومعناه أمر وتعبد.

الثانية : قوله تعالى : {بِكَلِمَاتٍ} الكلمات جمع كلمة ، ويرجع تحقيقها إلى كلام الباري تعالى ، لكنه عبر عنها عن الوظائف التي كلفها إبراهيم عليه السلام ، ولما كان تكليفها بالكلام سميت به ، كما سمي عيسى كلمة ، لأنه صدر عن كلمة وهي "كن".

الثالثة : واختلف العلماء في المراد بالكلمات على أقوال : أحدها : شرائع الإسلام

، وهي ثلاثون سهما ، عشرة منها في سورة براءة : {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ} [التوبة : ١١٢] إلى آخرها ، وعشرة في الأحزاب : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب : ٣٥] إلى آخرها ، وعشرة في المؤمنون : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١] إلى قوله : {عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المؤمنون : ٩]

وقوله في {سَأَلَ سَائِلٌ} : {إِلَّا الْمُصَلِّينَ} إلى قوله : {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ابتلى الله أحدا بمن فقام بها كلها إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلى بالإسلام فأتمه فكتب الله له البراءة فقال : {وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : ٣٧] .

وقال بعضهم : بالأمر والنهي ، وقال بعضهم : بذبح ابنه ، وقال بعضهم : بأداء الرسالة ، والمعنى متقارب . وقال مجاهد : هي قوله تعالى : إني مبتليك بأمر ، قال : تجعلني للناس إماما ؟ قال نعم . قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ؟ قال نعم . قال : وأمنا ؟ قال نعم . قال : وترينا مناسكنا وتتوب علينا ؟ قال نعم .

قال : وترزق أهله من الثمرات ؟ قال نعم . وعلى هذا القول فالله تعالى هو الذي أتم . وأصح من هذا ما ذكره عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابن عباس في قوله : {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} .

قال : ابتلاه الله بالطهارة ، خمس في الرأس وخمس في الجسد : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الشعر . وفي الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والاختتان ، ونتف الإبط ، وغسل مكان الغائط والبول بالماء ، وعلى هذا القول فالذي أتم هو إبراهيم .

قلت : وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إبراهيم عليه السلام أول من اختتن ، وأول من أضاف الضيف ، وأول من استحد ، وأول من قلم الأظفار ، وأول من قص الشارب .

الرابعة : واختلف العلماء في الختان ، فجمهورهم على أن ذلك من مؤكدات السنن ومن فطرة الإسلام التي لا يسع تركها في الرجال. وقالت طائفة : ذلك فرض ، لقوله تعالى : {أَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النحل : ١٢٣].

السادسة : فإن ولد الصبي محتونا فقد كفي مؤنة الختان. قال الميموني قال لي أحمد : إن ههنا رجلا ولد له ولد محتون ، فاعتم لذلك غما شديدا ، فقلت له : إذا كان الله قد كفاك المؤنة فما غمك بهذا.

السابعة : قال أبو الفرج الجوزي حدثت عن كعب الأخبار قال : خلق من الأنبياء ثلاثة عشر محتونين : آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي صلى الله عليه وسلم.

الثامنة : واختلفوا متى يختن الصبي ، فثبت في الأخبار عن جماعة من العلماء أنهم قالوا : ختن إبراهيم لإسماعيل لثلاث عشرة سنة. وختن ابنه إسحاق لسبعة أيام. وروي عن فاطمة أنها كانت تختن ولدها يوم السابع . واستحب العلماء في الرجل الكبير يسلم أن يختن ، وكان عطاء يقول : لا يتم إسلامه حتى يختن وإن بلغ ثمانين سنة.

التاسعة : في تقليم الأظفار. وتقليم الأظفار : قصها ، والقلامة ما يزال منها. وقال مالك : أحب للنساء من قص الأظفار وحلق العانة مثل ما هو على الرجال. قال الترمذي : فأما قص الأظفار فمن أجل أنه يחדش ويحמש ويضر ، وهو مجتمع الوسخ ، فربما أجنب ولا يصل الماء إلى البشرة من أجل الوسخ فلا يزال جنبا. ومن أجنب فبقي موضع إبرة من جسده بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله ، فلذلك ندبهم إلى قص الأظفار.

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سها في صلاته فقال : "وما لي لا أوهم ورفع أحدكم بين ظفره وأملمته ويسألني أحدكم عن خبر السماء وفي أظفيره الجنابة والتفت" .

وذكر هذا الخبر أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا في "أحكام القرآن" له ، عن سليمان بن فرج أبي واصل قال : أتيت أبا أيوب رضي الله عنه فصافحته ، فرأى في أظفاري طولاً فقال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن خبر السماء فقال : "يجيء أحدكم يسأل عن خبر السماء وأظفاره كأظفار الطير حتى يجتمع فيها الوسخ والتفت" .

وأما قوله : "ادفنوا قلاماتكم" فإن جسد المؤمن ذو حرمة ، فما سقط منه وزال عنه فحفظه من الحرمة قائم ، فيحرق عليه أن يدفنه ، كما أنه لو مات دفن ، فإذا مات بعضه فكذلك أيضاً تقام حرمة بدفنه ، كي لا يتفرق ولا يقع في النار أو في مزابل قدرة. وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفن دمه حيث احتجم كي لا تبحث عنه الكلاب.

يقول القرطبي : حدثنا بذلك أبي رحمه الله تعالى قال : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا الهنيد بن القاسم بن عبدالرحمن بن ماعز قال : سمعت عامر بن عبدالله بن الزبير يقول إن أباه حدثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم .

فلما فرغ قال : " يا عبدالله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد" . فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى الدم فشربه ، فلما رجع قال : "يا عبدالله ما صنعت به ؟" . قال : جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خافيا عن الناس . قال : "لعلك شربته ؟" قال نعم . قال : "لم شربت الدم ، وويل للناس منك وويل لك من الناس" . حدثني أبي قال : حدثنا مالك بن سليمان الهروي قال : حدثنا داود بن عبدالرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان : الشعر ، والظفر ، والدم ، والحیضة ، والسن ، والقلقة ، والبشيمة.

وأما قوله : "نقوا براجمكم" فالبراجم تلك الغضون من المفاصل ، وهي مجتمع الدرن "واحدتها برجمة" وهو ظهر عقدة كل مفصل ، فظهر العقدة يسمى برجمة ، وما بين العقدين تسمى راجبة ، وجمعها رواجب ، وذلك مما يلي ظهرها ، وهي قصبة الأصبع ، فلكل أصبع برجتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن لها برجمة وراجبتين ، فأمر بتنقيته لئلا يدرن فتبقى فيه الجنابة ، ويجول الدرن بين الماء والبشرة .
وأما قوله : "نظفوا لثاتكم" فاللثة واحدة ، والثلاث جماعة ، وهي اللحمية فوق الأسنان ودون الأسنان ، وهي منابتها . والعمور : اللحمية القليلة بين السنين ، واحدتها عمر . فأمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير عليه النكهة وتتكر الرائحة ، ويتأذى الملكان ، لأنه طريق القرآن ، ومقعد الملكين عند ناييه . وروي في الخبر في قوله تعالى : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق : ١٨]

العاشرة : في قص الشارب . وهو الأخذ منه حتى يبدو طرف الشفة وهو الإطار ، ولا يجزه فيمثل نفسه ، قاله مالك . وذكر ابن عبدالحكم عنه قال : وأرى أن يؤدب من حلق شاربه . وذكر أشهب عنه أنه قال في حلق الشارب : هذه بدع ، وأرى أن يوجع ضربا من فعله . وقال ابن خويز منداد قال مالك : أرى أن يوجع من حلقه ضربا . كأنه يراه ممثلا بنفسه ، وكذلك بنتفه الشعر ، وتقصيره عنده أولى من حلقه .

الحادية عشرة : وأما الإبط فسنته النتف ، كما أن سنة العانة الحلق ، فلو عكس جاز لحصول النظافة ، والأول أولى ، لأنه المتيسر المعتاد .

الثانية عشرة : وفرق الشعر : تفريقه في المفرق ، وفي صفته صلى الله عليه وسلم : إن انفرت عقيصته فرق ، يقال : فرقت الشعر أفرقه فرقا ، يقال : إن انفرق شعر رأسه فرقه في مفرقه ، فإن لم ينفرق تركه وفره واحدة . خرج النسائي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره .

الثالثة عشرة : وأما الشيب فنور ويكره نتفه ، ففي النسائي وأبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: "لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نورا يوم القيامة وكتب الله له حسنة وخط عنه خطيئة".

الرابعة عشرة : قوله تعالى : {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} الإمام : القدوة ، ومنه قيل خيط البناء : إمام ، وللطريق : إمام ، لأنه يؤم فيه للمسالك ، أي يقصد. فالمعنى : جعلناك للناس إماما يأتمون بك في هذه الخصال ، ويقتدي بك الصالحون. فجعله الله تعالى إماما لأهل طاعته ، فلذلك اجتمعت الأمم على الدعوى فيه - والله اعلم - أنه كان حنيفا.

الخامسة عشرة : قوله تعالى : {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} دعاء على جهة الرغبة إلى الله تعالى ، أي من ذريتي يا رب فاجعل. وقيل : هذا منه على جهة الاستفهام عنهم ، أي ومن ذريتي يا رب ماذا يكون ؟ فأخبره الله تعالى أن فيهم عاصيا وظالما لا يستحق الإمامة. قال ابن عباس : سأل إبراهيم عليه السلام أن يجعل من ذريته إمام ، فأعلمه الله أن في ذريته من يعصي فقال : {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}

السادسة عشرة : قوله تعالى : {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} أصل ذرية ، فعلية من الذر ، لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم عليه السلام كالذر حين أشهدهم على أنفسهم. وقيل : هو مأخوذ من ذرا الله الخلق يذروهم ذرءا خلقهم ، ومنه الذرية وهي نسل الثقلين ، إلا أن العرب تركت همزها ، والجمع الذراري. وقرأ زيد بن ثابت "ذرية" بكسر الذال و"ذرية" بفتحها.

السادسة عشرة : قوله تعالى : {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} اختلف في المراد بالعهد ، فروى أبو صالح عن ابن عباس أنه النبوة ، وقال السدي. مجاهد : الإمامة. قتادة : الإيمان. عطاء : الرحمة. الضحاك : دين الله تعالى. وقيل : عهده أمره. ويطلق العهد على الأمر . قال الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا} [آل عمران : ١٨٣] أي أمرنا. وقال : {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ} [يس : ٦٠] يعني ألم أقدم إليكم الأمر به ، وإذا كان عهد الله هو أوامره فقولته : {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} أي لا يجوز أن يكونوا بمحل من يقبل منهم أوامر الله ولا يقيمون عليها .

. وروى معمر عن قتادة في قوله تعالى : { لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } قال : لا ينال عهدي الله في الآخرة الظالمين ، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به ، وأكل وعاش وأبصر. قال الزجاج : وهذا قول حسن ، أي لا ينال أمانى الظالمين ، أي لا أومنهم من عذابي. وقال سعيد بن جبير : الظالم هنا المشرك. وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف " لا ينال عهدي الظالمون " برفع الظالمون. الباقر بن النصب. وأسكن حمزة وحفص وابن محيصن الياء في "عهدي" ، وفتحها الباقر.

السابعة عشر : استدلال جماعة من العلماء بهذه الآية على أن الإمام يكون

من أهل العدل والإحسان والفضل مع القوة على القيام بذلك ، وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا ينازعوا الأمر أهله ، على ما تقدم من القول فيه. فأما أهل الفسوق والجور والظلم فليسوا له بأهل ، لقوله تعالى : { لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }

٣- نبوءة يعقوب عليه السلام

من القضايا العجيبة التي تناولها العهد القديم والتي تثير العديد من التساؤلات هي قضية نبي الله يعقوب عليه السلام فنحن المسلمين نؤمن بان نبي الله يعقوب عليه السلام نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأن الله سبحانه وتعالى وهبه النبوة وبشر جده ابراهيم عليه السلام بذلك فقال سبحانه وتعالى (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) مريم ٥٠/٤٩

بهذه الكلمات الراقية الهادفة وصلت لنا الرسالة بأن نبي الله يعقوب نبي بأمر من الله سبحانه وتعالى و آمننا بذلك إلا أننا اصابتنا الدهشة حين اطلعنا على قصة نبي الله يعقوب في العهد القديم وما اضافته الأحبار والكهنة من افعال واحداث لا يقبلها عقل ولا منطق فذكروا ان النبوة آلت الى يعقوب عليه السلام بطريقة عجيبة فيزعمون أنه إحتال على والده وكذب عليه لينال منه البركة والنبوة واليك عزيزي القارئ القصة كما وردت في العهد القديم

وتبدأ قصة سيدنا يعقوب حين تزوج نبي الله إسحاق من سيدة اسمها رفته وطلا فترة دون إنجاب إلى أن صلى نبي الله إسحاق إلى الرب ودعاه سبحانه أن يرزقه بذرية صالحه تتحمل معه الامانه فقالوا (وصلى إسحاق إلى الرب لاجل امراته لانها كانت عاقرا) (فاستجاب له الرب فحبلت رفته امراته) وبعد شهور الحمل (فلما كملت أيامها لتلد اذا في بطنها تؤامان فخرج الاول احمر كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو وبعد ذلك خرج اخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب وكان إسحاق بن ستين سنه لما ولدتهما) من هذا النص نفهم أن الابن الاكبر انما هو عيسو وبنوا إسرائيل يقدسون الابن الأكبر ويعرفون للبكر حقه وقدره حتى ولو كان ابن جاريه أو امرأة مكروه فقالوا (اذا كان لرجل امراتان احدهما محبوبه والاخرى مكروهه فانجبتا له بنين المحبوه والمكروه فلا يقدم ابن المحبوه البكر على ابن المكروه البكر بل يوم يقسم يعطى ابن المكروهه البكر ضعف ابن المحبوه البكر لانه اول قدرته له حق البكورية

وبناء على نصوصهم المقدسة فإن لعيسو النصيب الأكبر إلا أنهم ذكروا ان يعقوب عليه السلام تحايل على عيسو حتى اشترى البكورية من اخيه وليته قدرها حق قدرها قال لآخيه (بعنى اليوم حق بكوريتك فباع بكوريته ليعقوب) لا ادري كيف تباع البكورية وتتحول ومع هذا اشتراها بثمان بخص (فاعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس) حقا إن هذا لشئ عجب ولكن هذا ليس ببعيد على بنى إسرائيل فهم يريدون أغلى الأشياء بأقل تكلفه وبأرخص الأثمان بعدما يشعرون صاحبها بتفاهتها وعدم جدواها حتى يزهدها فيها ويتنازل عنها باى ثمن ولكنه لا يدرك قيمتها الا بعد فوات الاوان .

ويمضى العهد القديم فى سرد الاحداث فيذكر ان نبي الله اسحاق لما كبر فى السن اراد ان يمنح ابنه الاكبر البركه ليصبح هو النبي من بعده حسب شرائعهم فقالوا (حدث لما شاخ اسحاق وكلت عيناه عن النظر انه دعا عيسو ابنه الاكبر وقال له فالان خذ عدتك واخرج الى البريه وتصيد لى صيدا جيدا واصنع لى اطعمه كما احب واتنى بها لاكل حتى تباركك نفسى قبل ان اموت)

وما هي علاقة الأكل بالمباركة وبالنبوة ؟ ولكنها طبيعة بنى إسرائيل الذين حاولوا ان يؤصلوا لابنائهم ان كل شى لا بد له من مقابل فلا يقدمون شيئاً لاحد دون ان يبذل فيه الآخر قدر استطاعته ولكن لولم يستطع عيسو احضار الطعام أو تاخر هل تضيع البركة وتذهب النبوة سدى ؟

هيا نرى ما حدث حين خرج عيسو ليحضر الصيد لابييه حدث ما لم يكن يتوقع وهو أن رفقته كانت تتصنت على اسحاق (وكانت رفقته سامعه اذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه ورغم أن كليهما ابناؤها إلا أنها سارعت الى ابنها يعقوب واخبرته الخبر بل ورسمت له خطة يستطيع بها ان يخدع اباه وان يسرق النبوة من اخيه فقالوا (فاستدعت ابنها يعقوب فقالت له اننى قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلاً انت تصيد واصنع لى اطعمه لاكل وباركك امام الرب قبل وفاتى

ثم يذكرون انهما وضعا خطة عجيبة (فقالت اذهب الى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعزى فاصنعهما اطعمة لابييك كما يجب فتحضرها الى ابيك لياكل حتى يباركك قبل وفاته وحين واجهتهم مشكلة ألا وهي أن يعقوب أملس بينما عيسو اخيه مشعر سأل امه (قال يعقوب لرفقه هوذا عيسو اخى رجل اشعر وانا رجل املس) الا ان رفقته (اخذت ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخره التى كانت عندها فى البيت والبست يعقوب ابنها الاصغر والبست يديه وملاسة عنقه جلود جدى المعزى واعطت الاطعمه والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها)

ثم يذكر العهد القديم أن يعقوب دخل على ابييه وكذب عليه قائلاً (قال يعقوب لابييه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك) إلا ان نبى الله اسحاق كاد أن يدرك الاختلاف فى الاصوات (فقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يد عيسو) ولم يعرف (لان يديه كانت مشعرتين كيدى عيسو اخيه فبارك)

ثم دعا له قائلاً (فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض وكثرة حنطه وخرم يستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل كن سيدا لاختوتك ويسجد لك بنوا امك ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)

حقاً صدق الله حين قال (عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) المائدة / ٦٤
لأن ما ذكروه من نصوص غاية في الغرابة اذ كيف تتصنت زوجة نبي الله اسحاق
على الحوار الذى دار بين زوجها وبين ابنيهما عيسو؟ ثم كيف تفضل رفقه ابنها
الأصغر على الاكبر مخالفة بذلك تعاليم شريعته كما ذكرنا وكيف تسول لنبي الله
يعقوب نفسه ان يسرق النبوة من اخيه عيسو؟ ألم يدرك نبي الله اسحاق ما فعله
ابنه يعقوب وأين أسرار النبوة اذن؟

وإن كان هذا أو ذاك فأين الله جل وعلا هل رضى بما فعله يعقوب عليه السلام
ووافق عليه واقره وجعله نبيا بهذه الطريقة اين هذا من حديث المعصوم صلى الله
عليه وسلم (من غشنا فليس منا) ١ إذن بناء على ذلك فلا ينبغي أن يكون نبي
الله يعقوب نبيا إن الكذب من شيم اللئيم ولا يليق بأحد الناس فما بالك بالأنبياء
العظماء ولا ينبغي أن ينسب اليهم الكذب ولا الخداع فكيف يجزؤ نبي الله يعقوب
على خداع والده حاشاهم ذلك

والأعجب من ذلك أن بنى إسرائيل زعموا أن الرب جل وعلا تابع هذه المسرحية
الهزلية دون تدخل وترك الأنبياء يكذبون وكأن قدر الله جل وعلا ليس له مكان
أما اراد بنوا إسرائيل ان يؤصلوا لابنائهم بان يعقوب عليه السلام هو الأولى
بالرسالة وحين ادرك ان الأمر الإلهى سيخطئه تحايل حتى نال ما يريد رغم انف
القدر

لقد أراد الأخبار والكهنة أن يشوهوا صورة الانبياء وسيرتهم امام ابنائهم
ليعلموهم ان (الغاية تبرر الوسيلة) وظهر هذا جليا في البروتوكول الأول ()
فقالوا ان السياسة لا تنفق مع الاخلاق فى شى والحاكم المقيد بالاخلاق ليس
بسياسى بارع وهو لذلك غير راسخ على عرشه لا بد لطالب الحكم من الالتجاء
الى المكر والرياء فان الشمائل الانسانية العظيمة من الاخلاق والامانه تصير
ردائل فى السياسة (٢)

^٢ بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٩

أين ما سبق من قول المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم (ان الرائد لا يكذب
اهله) ٣ فكيف يفترون على الله الكذب ويبلغ بهم الهراء مبلغه حتى يكذبوا
على انبياء الله بل ويسجلوا هذا الكذب في كتاب ويسمونه الكتاب المقدس فكيف
ذلك ؟

نحن المسلمين نبرأ الى الله من هذا الهراء لأننا نؤمن بان الله جل وعلا (أَعْلَمُ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) الانعام / ١٢٤ كما أنه جل وعلا يعصم انبيائه من الوقوع في
الأخطاء فهم قدوة البشر وصنعهم الله على عينه والانبياء يعلمون (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) الزمر / ٦٠ ومن ثم فإن ما ذكره في
حق نبي الله يعقوب لا نقبله ولا نؤمن به .

وماذا على بنى إسرائيل لو تركوا الامور على ما هي عليه فنبى الله يعقوب هو
النبي دون هذا الخداع و الكذب ولكن كيف يعيش بنوا اسرائيل دون كذب
او خداع فهم اهل الكذب والبهت وكأنهم لا يستطيعون العيش الا في هذه الأجواء
الحالكة الظالمة .

وليس هذا فحسب بل انهم بما ذكره عن زوجة نبي الله اسحاق وما قامت به من
خداع وتخطيط أرادوا ان يؤصلوا لابنائهم ان المرأة هي أساس كل الشرور فلو لم
تتصن رفقته ولم تخطط ما حدث هذا المكر والخداع ونحن نؤمن بان زوجة نبي الله
اسحاق لا تقدم على مثل هذا الصنيع فهي زوجة نبي وام نبي
فلا ينبغي على سيدة تحيا في هذا البيت الطاهر ان تفعل هذا وتتسبب في التفريقه
بين ابنائها بل وتجعل من يحصل على النبوة يحصل عليها بالسرقة والخداع وهي تعلم
ان هذا لا يليق بالانبياء وصدق الحق حين قال عن بنى إسرائيل (يبغونها عوجا)

٤ - سدوم

في هذه الفقرة نتحدث عن ما حدث لقرية سدوم وهي قرية نبي الله لوط حين عصوا الله جل وعلا وارتكبوا الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين . فلقد تناول القرآن الكريم هذا الحدث بأسلوب يسير فترى الكلمات في موقعها دون شطط بينما تناولها العهد القديم بطريقة عجيبة نذكرها أولاً ثم نبين ما جاء في القرآن الكريم

ما جاء في العهد القديم :

١ وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ { أَي لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ } عِنْدَ بُلُوطَاتٍ مَمْرًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقَتَّ حَرَّ النَّهَارِ، أَفْرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلَاثَةُ رَجَالٍ وَأَقْفُونَ أَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الْأَرْضِ،

٢ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلَا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ».

٣ لِيُؤْخَذَ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِنُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، ٤ فَأَخَذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَسُنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجَنَّزُونَ، لِأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هَكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ».

٥ فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِنِثْلَاتِ كَيْلَاتٍ دَقِيقًا سَمِيدًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ».

٦ ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلًا رَخِصًا وَجَبِدًا وَأَعْطَاهُ لِلْعُلَامِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ ٧ ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمَلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا.

٨ وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». ٩ فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتُكَ ابْنٌ».

وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. ١١ وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الْأَيَّامِ، وَقَدْ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ.

١٢ فَضَحِكْتَ سَارَةً فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبْعَدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ،
وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» ١٣

فَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: «لِمَآذَا ضَحِكْتَ سَارَةً قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ
وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ ١٤ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ
إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». ١٥ فَانْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً:
«لَمْ أَضْحَكْ». لِأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: «لَا! بَلْ ضَحِكْتَ».

١٦ ثُمَّ قَامَ الرَّجَالُ مِنَ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ
مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيَسْتَيْعِمَهُمْ. ١٧ فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا
فَاعِلُهُ، ١٨ وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَّمِ
الْأَرْضِ؟»

١٩ لِأَنِّي عَرَفْتُهُ لَكِي يُوصِي بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا
طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بَرًّا وَعَدْلًا، لَكِي يَأْتِيَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ بِمَا
تَكَلَّمَ بِهِ». ٢٠ وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ،
وَخَطِيئَتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جَدًّا. ٢١ أَنْزِلْ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ
صُرَاخِهَا الْآتِي إِلَيَّ، وَإِلَّا فَأَعْلَمُ».

٢٢ وَأَنْصَرَفَ الرَّجَالُ مِنَ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ
فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ.

٢٣ فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفْتَهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الْأَثِيمِ؟ ٢٤ عَسَى أَنْ يَكُونَ
خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفْتَهْلِكُ الْمَكَانَ وَلَا تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ
الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ ٢٥ حَاشَا لَكَ أَنْ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ، أَنْ
تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الْأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالْأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدِيَانُ كُلِّ
الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟»

٢٦ فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ،
فَأَنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ». ٢٧ فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ:
«إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أَكَلُّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. ٢٨ رُبَّمَا نَقَصَ
الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتَهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟»
فَقَالَ: «لَا أَهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ». ٢٩ فَعَادَ يُكَلِّمُهُ
أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ». فَقَالَ: «لَا أَفَعَلُ مِنْ

أَجَلِ الْأَرْبَعِينَ». ^{٣٠} فَقَالَ: «لَا يَسْخَطُ الْمَوْلَى فَاَتَكَلَّمْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلَاثُونَ».

فَقَالَ: «لَا أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلَاثِينَ». ^{٣١} فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أَكْلَ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ». فَقَالَ: «لَا أَهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ».

^{٣٢} فَقَالَ: «لَا يَسْخَطُ الْمَوْلَى فَاَتَكَلَّمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشْرَةٌ». فَقَالَ: «لَا أَهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشْرَةِ». ^{٣٣} وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَعَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ أَفْجَاءَ الْمَلَائِكَانَ إِلَى سُدُومَ مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سُدُومَ. فَلَمَّا رَأَاهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بَوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ. ^{٣٤} وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلًا إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبَيْتِنَا وَاغْسِلَا أَرْجُلِكُمَا، ثُمَّ تَبَكَّرَانِ وَتَذَهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا».

فَقَالَا: «لَا، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتٌ». ^{٣٥} فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدًّا، فَمَالَآ إِلَيْهِ وَدَخَلَا بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيْفَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا فَأَكَلَا.

^{٣٦} وَقَبْلَمَا اضْطَجَعَا أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رَجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سُدُومَ، مِنْ الْحَدِيثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَفْصَاهَا. فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ دَخَلَا إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا». ^{٣٧} فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ

^{٣٨} وَقَالَ: «لَا تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. ^{٣٩} هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلًا. أَخْرِجْهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عِيُونِكُمْ. وَأَمَّا هَذَانِ الرَّجُلَانِ فَلَا تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لِأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلَا تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي». ^{٤٠} فَقَالُوا: «ابْعُدْ إِلَى هُنَاكَ». ثُمَّ قَالُوا: «جَاءَ هَذَا الْإِنْسَانُ لِيَتَغَرَّبَ،

وَهُوَ يَحْكُمُ حُكْمًا. الْآنَ نَفْعَلُ بِكَ شَرًّا أَكْثَرَ مِنْهُمَا». فَالْحُوا عَلَى الرَّجُلِ لُوطَ جِدًّا وَتَقَدَّمُوا لِيَكْسِرُوا الْبَابَ، ^{٤١} فَمَدَّ الرَّجُلَانِ أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلَا لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. ^{٤٢} وَأَمَّا الرَّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضْرَبَاهُمْ بِالْعَمَى، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، فَعَجَزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ.

١٢ وَقَالَ الرَّجُلَانِ لُلُوطِ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا هَهُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، ١٣ لِأَنَّنا مُهْلِكَانِ هَذَا الْمَكَانِ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صِرَاحُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلْنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ».

١٤ فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الْآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا خُرُجُوا مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، لِأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكُ الْمَدِينَةِ». فَكَانَ كَمَا رُحِ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ. ١٥ وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ يُعْجَلَانِ لُوطًا قَائِلِينَ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِنَلَّا تَهْلِكُ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ».

١٦ وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلَانِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لَشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. ١٧ وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجِ أَتَهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لَا تَنْظُرْ إِلَى وِرَائِكَ، وَلَا تَقْفُ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِنَلَّا تَهْلِكُ». ١٨ فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لَا يَا سَيِّدُ».

١٩ هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِيقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. ٢٠ هُوَذَا الْمَدِينَةُ هَذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحَيَا نَفْسِي».

٢١ فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْضًا، أَنْ لَا أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. ٢٢ أَسْرِعْ أَهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَيَّ هُنَاكَ». لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ «صُوغَرَ».

٢٣ وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، ٢٤ فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيئًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. ٢٥ وَقَلَّبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةَ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَبَنَاتِ الْأَرْضِ. ٢٦ وَنَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ.

٢٧ وَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، ٢٨ وَتَطَّلَعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ

وَإِذَا دُخَانَ الْأَرْضَ يَصْعَدُ كُدْحَانَ الْأُتُونِ. ^{٢٩} وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللَّهُ
مُدْنَ الدَّائِرَةَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسْطِ الْإِنْقِلَابِ.
حِينَ قَلَبَ الْمُدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.

هذا ماكان من العهد القديم فكيف تناول القرآن الكريم هذا الحدث ؟

فيقول تعالى {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ}

قوله تعالى : {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى} هذه قصة لوط عليه السلام ؛
وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام ، وكانت قرى لوط بنوا حي بالشام ، وإبراهيم
ببلاد فلسطين ، فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا بإبراهيم ونزلوا عنده ،
وكان كل من نزل عنده يحسن ضيافته .

وكانوا مروا ببشارة إبراهيم ، فظنهم أضيافا . "وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل
عليهم السلام" ؛ قاله ابن عباس . الضحاك : كانوا تسعة . السدي : أحد عشر ملكا
على صورة الغلمان الحسن الوجوه ، ذو وضاعة وجمال بارع . "البشري" قيل :
بالولد . وقيل : يهلك قوم لوط . وقيل : بشروه بأنهم رسل الله عز وجل ، وأنه لا
خوف عليه . {قَالُوا سَلَامًا} نصب بوقوع الفعل عليه ؛ كما تقول : قالوا خيرا .

وقيل : "قالوا سلاما" أي فاتحوه بصواب من القول . كما قال : {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان : ٦٣] أي صوابا ؛ فسلاما معنى قولهم لا لفظه ؛
قال ، معناه ابن العربي واختاره . قال : ألا ترى أن الله تعالى لما أراد ذكر اللفظ قاله
بعينه فقال ، مخبرا عن الملائكة : {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ} [الرعد : ٢٤] {سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ} [الزمر : ٧٣]

قوله تعالى : {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ} فيه أربع عشر مسألة : -
الأولى : -قوله تعالى : {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ} "أن" بمعنى حتى والتقدير : فما لبث حتى
جاء. { بِعِجْلٍ حَنِيدٍ }

و {حَنِيدٍ} مشوي. وقيل : هو المشوي بحر الحجاره من غير أن تمسه النار؛ وإنما جاء
بعجل لأن البقر كانت أكثر أموال.

الثانية : - في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قراه ، فيقدم الموجود الميسر في
الحال ، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدّة ، ولا يتكلف ما يضر به. والضيافة من مكارم
الأخلاق ، ومن آداب الإسلام ، ومن خلق النبيين والصالحين. وإبراهيم أول من
أضاف وليست بواجبة عند عامة أهل العلم ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : "الضيافة
ثلاثة أيام وجانزته يوم وليلة فما كان وراء ذلك فهو صدقة" .

الثالثة : - السنة إذا قدم للضيف الطعام أن يبادر المقدم إليه بالأكل ؛ فإن كرامة
الضيف تعجيل التقديم ؛ وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول ؛ فلما قبضوا أيديهم
نكرهم إبراهيم ؛ لأنهم خرجوا عن العادة وخالفوا السنة ، وخاف أن يكون وراءهم
مكروه يقصدونه. وروي أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم ولا
تصل أيديهم إلى اللحم ، فلما رأى ذلك منهم {نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} أي
أضمر. وقيل : أحس ؛ والوجوس الدخول ؛

"خيفة" خوفا ؛ أي فرعا. وكانوا إذا رأوا الضيف لا يأكل ظنوا به شرا ؛ فقالت
الملائكة {لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ}
{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا
إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ}

الرابعة: -قوله تعالى : {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ} يقول : أنكرهم ؛
تقول : نكرتك وأنكرتك واستنكرتك إذا وجدته على غير ما عهدته ؛ قال الشاعر :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

{وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}

الخامسة - قوله تعالى : {وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ} ابتداء وخبر ، أي قائمة بحيث ترى الملائكة.

قيل : كانت من وراء الستر . وقيل : كانت تخدم الملائكة وهو جالس . وقال محمد بن إسحاق : قائمة تصلي . وفي قراءة عبدالله بن مسعود " وامرأته قائمة وهو قاعد" . السادسة: - {فَضَحَكَتْ} . وقال الجمهور : هو الضحك المعروف ، واختلفوا فيه ؛ فقيل : هو ضحك التعجب ؛ ويقال : كان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يكرم أضيافه أقام سارة تخدمهم ، فذلك قوله : {وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ} أي قائمة في خدمتهم . ويقال : " قائمة" لروح إبراهيم "فضحكت" لقولهم : " لا تخف" سرورا بالأمن .

وقال الفراء : فيه تقديم وتأخير ؛ المعنى : فبشرناها بإسحاق فضحكت ، أي ضحكت سرورا بالولد ، وقد هرمت ، والله أعلم أي ذلك كان . قال النحاس فيه أقوال : أحسنها - أنهم لما لم يأكلوا أنكرهم وخافهم ؛ فلما قالوا لا تخف ، وأخبروه أنهم رسل الله ، فرح بذلك ، فضحكت امرأته سرورا بفرحه . وقيل : إنما كانت قالت له : أحسب أن هؤلاء القوم سيتزل بهم عذاب فضم لوطا إليك ، فلما جاءت الرسل بما قالت سرته به فضحكت ؛ قال النحاس : وهذا إن صح إسناده فهو حسن . والضحك انكشاف الأسنان . ويجوز أن يكون الضحك إشراق الوجه ؛ تقول : رأيت فلانا ضاحكا ؛ أي مشرقا . وأتيت على روضة تضحك ؛ أي مشرقة .

وفي الحديث "إن الله سبحانه يبعث السحاب فيضحك أحسن الضحك" . جعل الخجلاء عن البرق ضحكا .

السابعة - ذكر الطبري أن إبراهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا : لا نأكل طعاما إلا بثمان ؛ فقال لهم : "ثمنه أن تذكروا الله في أوله وتحمدوه في آخره" فقال جبريل لأصحابه : بحق اتخذ الله هذا خليلا .

الثامنة - ودل هذا على أن التسمية في أول الطعام ، والحمد في آخره مشروع في الأمم قبلنا ؛ وقد جاء في الإسرائيليات أن إبراهيم عليه السلام كان لا يأكل وحده ؛ فإذا حضر طعامه أرسل يطلب من يأكل معه ؛ فلقي يوما رجلا ، فلما جلس معه على الطعام ، قال له إبراهيم : سم الله ، قال الرجل لا أدري ما الله ؟ فقال له : فاخرج عن طعامي ، فلما خرج نزل إليه جبريل فقال له : يقول الله إنه يرزقه على

كفره مدى عمره وأنت بخلت عليه بلقمة ؛ فخرج إبراهيم فزعا يجر رداءه ، وقال : ارجع ، فقال : لا أرجع حتى تخبرني لم تردني لغير معنى ؟ فأخبره بالأمر ؛ فقال : هذا رب كريم ، آمنت ؛ ودخل وسمى الله وأكل مؤمنا .

التاسعة - قوله تعالى : { فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ } لما ولد لإبراهيم إسماعيل من هاجر تمت سارة أن يكون لها ابن ، وأيست لكبر سنها ، فبشرت بولد يكون نبيا ويلد نبيا ، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها .

العاشرة : - { وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } وبشرناها من وراء إسحاق يعقوب .

{ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ }

فيه مسألتان : -

الأولى : - قوله تعالى : { يَا وَيْلَتَى } قال الزجاج : أصلها يا ويلتي ؛ فأبدل من الياء ألف ، لأنها أخف من الياء والكسرة ؛ ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل ، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طراً عليهن ما يعجبن منه ؛ وعجبت من ولادتها ومن كون بعلاها شيخا لخروجه عن العادة ، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر . و { أَلِدُ } استفهام معناه التعجب . { وَأَنَا عَجُوزٌ } أي شيخخة . ولقد عجزت تعجز عجزا وعجزت تعجيزا ؛ أي طعنت في السن .

الثانية : قوله تعالى : { وَهَذَا بَعْلِي } أي زوجي . { وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا } أي عن ترك غشيانه لها . وسارة هذه امرأة إبراهيم بنت هاران بن ناحور بن شاروع بن أرغو بن فالغ ، وهي بنت عم إبراهيم . { إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } أي الذي بشرتموني به لشيء عجيب .

{ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }

فيه أربع مسائل : -

الأولى : - قوله تعالى : { قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } لما قالت : { وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا } وتعجبت ، أنكرت الملائكة عليها تعجبها من أمر الله ، أي من قضائه . وقدره ، أي لا عجب من أن يرزقكما الله الولد ، وهو إسحاق . وبهذه الآية استدل

كثير من العلماء على أن الذبيح إسماعيل ، وأنه أسن من إسحاق ؛ لأنها بشرت بأن إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب .

الثانية : - قوله تعالى : {رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ} مبتدأ ، والخبر {عَلَيْكُمْ} ، المعنى : أوصل الله لكم رحمته وبركاته أهل البيت . وكونه دعاء إنما يقتضي أنه أمر يترجى ولم يتحصل به بعد . {أَهْلَ الْبَيْتِ}

الثالثة : - هذه الآية تعطي أن زوجة الرجل ، من أهل البيت ؛ فدل ، هذا على أن أزواج الأنبياء من أهل البيت ؛ فعائشة رضي الله عنها وغيرها من جملة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ممن قال الله فيهم : {وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب : 33]

الرابعة : - ودلت الآية أيضا على أن منتهى السلام "وبركاته" كما أخبر الله عن صالح عباده {رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} . والبركة النمو والزيادة ؛ ومن تلك البركات أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد إبراهيم وسارة .

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : دخلت المسجد فإذا أنا بالنبي صلى الله عليه وسلم في عصابة من أصحابه ، فقلت : السلام عليكم ؛ فقال : "وعليك السلام ورحمة الله عشرون لي وعشرة لك" . قال : ودخلت الثانية ؛ فقلت : السلام عليكم ورحمة الله فقال : "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لي وعشرون لك" . فدخلت الثالثة فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فقال : "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لي وثلاثون لك أنا وأنت في السلام سواء" . {إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} أي محمود ماجد .

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ}

قوله تعالى : {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} أي الخوف ؛ يقال : ارتاع من كذا إذا خاف ؛

{وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى} أي ياسحاق ويعقوب. وقال قتادة : بشروه بأنهم إنما أتوا بالعذاب إلى قوم لوط ، وأنه لا يخاف . {يُجَادِلُنَا} أي يجادل رسلنا ، وأضافه إلى نفسه ، لأنهم نزلوا بأمره . ؛ وذلك أنهم لما قالوا : {إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} [العنكبوت : ٣١]

قال لهم : أرايتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أهلكوهم ؟ قالوا : لا . قال : فأربعون ؟ قالوا : لا . قال : فثلاثون ؟ قالوا : لا . قال : فعشرون ؟ قالوا : لا . قال : فإن كان فيها عشرة - أو خمسة شك حميد - قالوا : لا . قال قتادة : نحوا منه ؛ قال فقال يعني إبراهيم : قوم ليس فيهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم . وقيل إن إبراهيم قال : أرايتم إن كان فيها رجل مسلم أهلكونها ؟ قالوا : لا .

فقال إبراهيم عند ذلك : {إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [العنكبوت : ٣٢]. وقال عبدالرحمن ابن سمرة : كانوا أربعمائة ألف . ابن جريج . وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف . ومذهب الأخفش والكسائي أن {يُجَادِلُنَا} في موضع "جادلنا" . قال النحاس : لما كان جواب "لما" يجب أن يكون بالماضي جعل المستقبل مكانه ؛ كما أن الشرط يجب أن يكون بالمستقبل فجعل الماضي مكانه .

وفيه جواب آخر : أن يكون "يجادلنا" في موضع الحال ؛ أي أقبل يجادلنا ؛ وهذا قول الفراء . {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [التوبة : ١١٤] والمنيب الراجع ؛ يقال : إذا رجع . وإبراهيم صلى الله عليه وسلم كان راجعا إلى الله تعالى في أمور كلها . وقيل : الأواه المتأوه أسفا على ما قد فات قوم لوط من الإيمان . قوله تعالى : {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} أي دع عنك الجدل في قوم لوط . {إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} أي عذابه لهم . {وَأِنَّهُمْ آتِيهِمْ} أي نازل بهم . {عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} أي غير مصروف عنهم ولا مدفوع .

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي

هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} {قَالُوا لَقَدْ
 عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ
 آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} {قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا هَلْكَ
 بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
 الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ} {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ}
 قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ} لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم

، وكان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ بصرت بنتا لوط - وهما تستقيان -
 بالملائكة وراتا هيئة حسنة ، فقالتا : ما شأنكم ؟ ومن أين أقبلتم ؟ قالوا : من موضع
 كذا نريد هذه القرية قالتا : فإن أهلها أصحاب الفواحش ؛ فقالوا : أهما من يضيفنا ؟
 قالتا : نعم ! هذا الشيخ وأشارتا إلى لوط ؛ فلما رأى لوط هيئتهم خاف قومه ،
 عليهم. {سَيِّئًا بِهِمْ} أي ساءه مجيئهم ؛ يقال : ساء بسوء فهو لازم ، وساءه يسوءه
 فهو متعد أيضا ، وإن شئت ضمنت السين ؛ لأن أصلها الضم ، والأصل سوى بهم
 من السوء ؛ قلبت حركة الواو على السين فانقلبت ياء ، وإن خففت الهزرة ألقبت
 حركتها على الياء فقلت : "سي بهم" مخففا ، ولغة شاذة بالتشديد.

{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه. وقيل : ضاق وسعه وطاقته.
 وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه ؛ فإذا حمل على
 أكثر من طوقه ضاق عن ذلك ، وضعف ومد عنقه ؛ فضيق الذرع عبارة عن ضيق
 الوسع. وقيل : هو من ذرعه القيء أي غابه ؛ أي ضاق عن حبسه المكروه في نفسه
 ، وإنما ضاق ذرعه بهم لما رأى من جهالهم ، وما يعلم من فسق قومه. {وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
 عَصِيبٌ} أي شديد في الشر.

قوله تعالى : {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} في موضع الحال. {يُهْرَعُونَ} أي يسرعون.
 قال الكسائي والفراء وغيرهما من أهل اللغة : لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة
 ؛ يقال : أهرع الرجل إهراعا أي أسرع في رعدة من برد أو غضب أو حمى ، وهو
 وكان سبب إسراعهم ما روي أن امرأة لوط الكافرة ، لما رأت الأضياف وجمالهم

وهيئتهم ، خرجت حتى أتت مجالس قومها ، فقالت لهم : إن لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رأيي مثلهم جمال ؛ وكذا وكذا ؛ فحينئذ جاؤوا يهرعون إليه. ويذكر أن الرسل لما وصلوا إلى بلد لوط وجدوا لوطا في حرث له.

وقيل : وجدوا ابنته تستقي ماء من نهر سدوم ؛ فسألوها الدلالة على من يضيفهم ، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط ، وقالت لهم : مكانكم! وذهبت إلى أبيها فأخبرته ؛ فخرج إليهم ؛ فقالوا : نريد أن نضيفنا الليلة ؛ فقال لهم : أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟ فقالوا : وما عملهم ؟ فقال أشهد بالله إنهم لشر قوم في الأرض - وقد كان الله عز وجل ، قال لملائكته لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات - فلما قال لوط هذه المقالة .

قال جبريل لأصحابه : هذه واحدة ، وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ، ثم دخل بهم المدينة. قوله تعالى : { وَمِنْ قَبْلُ } أي ومن قبل مجيء الرسل. وقيل : من قبل لوط. { كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ } أي كانت عادتهم إتيان الرجال. فلما جاؤوا إلى لوط وقصدوا أضيافه قام إليهم لوط مدافعا ، وقال : { هَؤُلَاءِ بَنَاتِي } ابتداء وخبر. وقد اختلف في قوله : { هَؤُلَاءِ بَنَاتِي } فقيل : كان له ثلاث بنات من صلبه.

وقيل : بنتان ؛ زيتا وزعوراء ؛ فقيل : كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه. وقيل : ندبهم في هذه الحالة إلى النكاح ، وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة ؛ وقد كان هذا في أول الإسلام جائزا ثم نسخ ؛ فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنتا له من عتبة بن أبي لهب ، والأخرى من أبي العاص بن الربيع قبل الوحي ، وكانا كافرين. وقالت فرقة - منهم مجاهد وسعيد بن جبير - أشار بقوله : "بناتي" إلى النساء جملة ؛ إذ نبي القوم أب لهم ؛ ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود. "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم" [الأحزاب : ٦].

وقالت طائفة : إنما كان الكلام مدافعة ولم يرد إمضاءه ؛ روي هذا القول عن أبي عبيدة ؛ كما يقال لمن ينهى عن أكل مال الغير : الخنزير أحل لك من هذا. وقال عكرمة : لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته ، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا. قوله تعالى : { هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ } ابتداء وخبر ؛ أي أزواجكموهن ؛ فهو أطهر لكم مما تريدون ، أي أحل. والتطهر التزهر عما لا يحل.

قوله تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي } أي لا تهينوني ولا تذلونني. ثم وبخهم بقوله : { أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ } أي شديد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقيل : "رشيد" أي ذو رشد. أو بمعنى راشد أو مرشد ، أي صالح أو مصلح ابن عباس : مؤمن. أبو مالك : ناه عن المنكر. وقيل : الرشيد بمعنى الرشد ؛ والرشد والرشاد الهدى والاستقامة. ويجوز أي يكون بمعنى المرشد ؛ كالحكيم بمعنى المحكم. قوله تعالى : { قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ } روي أن قوم لوط خطبوا بناته فردهم ، وكانت سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبدا ؛ فذلك قوله تعالى : { قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ } وبعد ألا تكون هذه الخاصة. فوجه الكلام أنه ليس ، لنا إلى بناتك تعلق ، ولا هن قصدنا ، ولا لنا عادة نطلب ذلك. { وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ } إشارة إلى الأضياف.

قوله تعالى : { قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ } لما رأى استمرارهم في غيهم ، وضعف عنهم ، ولم يقدر على دفعهم ، تمنى لو وجد عوناً على ردهم ؛ فقال على جهة التفجع والاستكانة. { لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ } أي أنصاراً وأعواناً. وقال ابن عباس : أراد الولد. و"أن" في موضع رفع بفعل مضمر ، تقديره : لو اتفق أو وقع. وهذا يطرد في "أن" التابعة لـ "لو". وجواب "لو" محذوف ؛ أي لرددت أهل الفساد ، وحلت بينهم وبين ما يريدون. "أو آوي إلى ركن شديد" أي ألتجأ وأنضوي. وقرئ "أو آوي" بالنصب عطفاً على "قوة" كأنه قال : "لو أن لي بكم قوة" أو إيواء إلى ركن شديد ؛ أي وأن آوي ،

ومراد لوط بالركن العشيرة ، والمنعة بالكثرة. وبلغ بهم قبيح فعلهم إلى قوله هذا مع علمه بما عند الله تعالى ؛ فيروى أن الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات ،

وقالوا : إن ركنك لشديد. وفي البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد " الحديث

وخرجه الترمذي وزاد " ما بعث الله بعده نبيا إلا في ثروة من قومه ". قال محمد بن عمرو : والثروة الكثرة والمنعة ؛ حديث حسن. ويروى أن لوطا عليه السلام لما غلبه قومه ، وهموا بكسر الباب وهو يمسكه ، قالت له الرسل : تنح عن الباب ؛ فتنحى وانفتح الباب ؛ فضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم ، وعموا وانصرفوا على أعقابهم يقولون : النجاء ؛ قال الله تعالى : {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} [القمر : ٣٧].

وقال ابن عباس وأهل التفسير : أغلق لوط باباه والملائكة معه في الدار ، وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب ، وهم يعالجون تسور الجدار ؛ فلما رأت الملائكة ما لقي من الجهد والكره والنصب بسببهم ، قالوا : يا لوط إن ركنك لشديد ، وأنهم آتيهم عذاب غير مردود ، وإنا رسل ربك ؛ فافتح الباب ودعنا وإياهم ؛ ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه على ما تقدم.

وقيل : أخذ جبريل قبضة من تراب فأذراها في وجوههم ، فأوصل الله إلى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمس أعينهم ، فلم يعرفوا طريقا ، ولا اهتدوا إلى بيوتهم ، وجعلوا يقولون : النجاء النجاء! فإن في بيت لوط قوما هم أسحر من على وجه الأرض ، وقد سحرونا فأعموا أبصارنا. وجعلوا يقولون : يا لوط كما أنت حتى نصبح فسترى ؛ يتوعدونه.

قوله تعالى : {قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ} لما رأت الملائكة حزنه واضطرابه ومدافعتة عرفوه بأنفسهم ، فلما علم أنهم رسل مكن قومه من الدخول ، فأمر جبريل عليه السلام يده على أعينهم فعموا ، وعلى أيديهم فجفت. {لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} أي بمكرهه {فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ} قرئ {فَأَسْرَ} بوصل الألف وقطعها ؛ لغتان فصيحتان. قال الله تعالى : {وَاللَّيْلَ إِذَا يَسْرٍ} [الفجر : ٤] وقال : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى} [الإسراء : ١] :

{بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} قال ابن عباس : ببقية من الليل فإن قيل : السرى لا يكون إلا بالليل ، فما معنى {بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} ؟ فالجواب : أنه لو لم يقل : {بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} جاز أن يكون أوله . {وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ} أي لا ينظر وراءه منكم أحد ؛ قال مجاهد . ابن عباس : لا يتخلف منكم أحد . لا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع .

{إِلَّا امْرَأَتَكَ} بالنصب ؛ وهي القراءة الواضحة البينة المعنى ؛ أي فأسر بأهلك إلا امرأتك . وكذا في قراءة ابن مسعود "فأسر بأهلك إلا امرأتك" فهو استثناء من الأهل . وعلى هذا لم يخرج بها معه . وقد قال الله عز وجل : {كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف : ٨٣] أي من الباقين .

قال النحاس : كأنه قال : أنهم لا يلتفت منهم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وتملك ، وأن النهي عن الالتفات لأنه كلام تام ؛ أي لا يلتفت ، منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وتملك ، وأن لوطا خرج بها ، ونهى من معه ممن أسرى بهم ألا يلتفت ، فلم يلتفت منهم أحد سوى زوجته ؛ فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت : واقوماه! فأدرکها حجر فقتلها .

{إِنَّهُ مُصِيبُهَا} أي من العذاب ، والكناية في "إنه" ترجع إلى الأمر والشأن ؛ أي فإن الأمر والشأن والقصة . {مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ} لما قالت الملائكة : {إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} [العنكبوت : ٣١] قال لوط : الآن الآن . استعجلهم بالعذاب لغيظه على قومه ؛ فقالوا : {أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} وقرأ عيسى بن عمر "أليس الصبح" بضم الباء وهي لغة . ويحتمل أن يكون جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم ؛ لأن النفوس فيه أودع ، والناس فيه أجمع .

وقال بعض أهل التفسير : إن لوطا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر ؛ وأن الملائكة قالت له : إن الله قد وكل بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد ، وخطف برق ، وصواعق عظيمة ، وقد ذكرنا لهم أن لوطا سيخرج فلا تؤذوه ؛

وأمرته أنه لا يلتفت ، ولا تلتفت ابتاه فلا يهولنك ما ترى. فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم.

قوله تعالى : { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا } أي عذابنا. { جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا } وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط ، وهي خمس : سدوم - وهي القرية العظمية ، - وعامورا ، ودادوما ، وضعوه ، وقتم ، فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء بما في فيها ؛ حتى سمع أهل السماء فميق حمهم وصياح ديكهم ، لم تنكفي لهم جرة ، ولم ينكسر لهم إناء ، ثم نكسوا على رؤوسهم ، وأتبعهم الله بالحجارة.

قوله تعالى : { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ } دليل على أن من فعل فعلهم حكمه الرجم ، وفي التفسير : أمطرتنا في العذاب ، ومطرتنا في الرحمة. وأما كلام العرب فيقال : مطرت السماء وأمطرت : حكاة الهروي. واختلف في "السجيل" السجيل الطين بدليل قوله { لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ } [الذاريات : ٣٣]. وقال الحسن : كان أصل الحجارة طينا فشددت. والسجيل عند العرب كل شديد صلب.

{ مَنْصُودٍ } قال ابن عباس : متتابع وهو مما أعده الله لأعدائه الظلمة. { مُسَوِّمَةٌ } أي معلمة ، من السيمة وهي العلامة ؛ أي كان عليها أمثال الخواتيم. وقيل : مكتوب على كل حجر اسم من رمي به ، وفي قوله : { عِنْدَ رَبِّكَ } دليل على أنها ليست من حجارة الأرض ؛ قاله الحسن. { وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ } يعني قوم لوط ؛ أي لم تكن تخطئهم.

وقال مجاهد : يرهب قريشا ؛ المعنى : ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد. وقال قتادة وعكرمة : يعني ظالمي هذه الأمة ؛ والله ما أجاز الله منها ظالما بعد.

٥- داود وامرأة اوريا

زعم بنوا اسرائيل ان الرب جل وعلا (حاشاه) امر بارتكاب الفواحش .
 يزعم بنوا إسرائيل في العهد القديم ان الله سبحانه وتعالى لم يعصم نبيه
 داود من الوقوع في الخطيئة حين استدعى سيدة اسمها بثشبع بنت اليعام وزوجة
 لأوريا الحثي زعموا (قاتلهم الله ان نبى الله داود استغل فرصة وجود زوجها في
 الحرب وادخلها البيت وضاجعها
 فقالوا : (فارسل داود رسلا واخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهى مطهرة
 من طمئتها ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة فارسلت واخبرت داود فقالت انى
 حبلى) ٤

ونحن المسلمين نبرا من هذا الهراء ولكن مادامو يزعمون ان كتبهم مقدسة وانها من
 عند الله جل وعلا احببنا ان نبين لهم ما يفترونه على انبياء الله وانه لولا القران
 الكريم الذى حفظه الحق سبحانه وتعالى لظل الناس في ضلال مبين . وهذا دليل على
 فساد بنى اسرائيل الاخلاقى وحبهم للرديله ورغبتهم في انتشارها باى وسيله ومن
 ثم نسبوها للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليكون لهم فيهم القدوة ولا حول ولا
 قوة الا بالله العلى العظيم .

والأسوا من ذلك هو زعمهم أن الله جل وعلا حين أراد أن يعاقب داود عليه
 السلام على صنيعه هذا زعموا عذرا اقبح من ذنب فقالوا أن الرب جل وعلا
 عرض نساء النبى داود لنفس الفعل الذى زعموه
 فذكروا (هكذا قال الرب : هانذا اقيم عليك الشر من بيتك واخذ نساءك امام
 عينيك واعطيهن لقريبك فيضطجع مع نساءك فى عين هذه الشمس) ٥ ()
 قاتلهم الله

وانما ارادوا بذلك ان يؤصلوا لاولادهم ان الرب هو الذى شرع
 القصاص فى هذه المسألة وانهم لا ذنب لهم انما هى نصوص مقسة ، وصدق الحق حين

٤ صموئيل الثانى ١١/٤-٥
 ٥ صموئيل الثانى ١١/١٣

قال عنهم (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا)

الاعراف/ ٢٨

وهنا يرد القرآن بكل قوة وحزم (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الاعراف/ ٢٨ وليس هذا فحسب بل بين سبحانه وتعالى

كذب هؤلاء فقال جل وعلا (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الشورى

١٣/

والله جل وعلا شرع لنا البعد عن الفواحش بكل اشكالها والوانها فقال

سبحانه وتعالى (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

الاعراف/ ٣٣

فما كان لله جل وعلا ان يامر امة بترك الفواحش ويامر اخرى بارتكابها في عين

الشمس حقا صدق ربي جل وعلا حين قال (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ

إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) الكهف/ ٥

ولذا فاننا اهيب بامتنا الحبيبه واقول لهم ان من يكذب على الله جل وعلا وافترى

الكذب على الانبياء فمن السهل واليسير ان يكذب على البشر ولذا حذرنا الحق

جل وعلا منهم حين قال سبحانه وتعالى (وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ إِلَيْكَ) المائدة/ ٤٩

٦- يوسف وامرأة العزيز

أولاً : من القرآن الكريم

نعود لسيدنا يوسف عليه السلام وما حدث له في بيت العزيز فلقد حكى القرآن الكريم {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ { يوسف ٢٣ - ٢٩

{وَرَاوَدَتْهُ} إنما تعنى أنها بذلت قبل ذلك العديد من الوسائل لإغرائه فلم ينتبه لها لأنه نعم العبد ولما لا وهو ابن الأكرمين وكذلك ينبغي على الآباء أن يراعوا أبناءهم ليكونوا على نفس القدر والمكانة عملاً بقول المعصوم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "

ولما كانت نشأة سيدنا يوسف عليه السلام في هذا البيت النبوي الكريم كان لديه رصيد إيماني ورصيد تربوي من أبائه الأنبياء يجعل الجبال تزول أمامه وهو لا يزول وكذلك العظماء وإن قيل فإن يوسف عليه السلام نبي وابن أنبياء ولديه من التعليم والوراثة ما يهيئه لاجتياز تلك العقبات دون عناء فماذا عن الشباب الآخرين وليسوا من أولاد الأنبياء ؟

نقول : إن الله جل وعلا ترك لهم من الدين ما يكفي إن تمسكوا به اعتصموا من الوقوع في الرذائل لقوله صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن

تصلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتي " وليس هذا فحسب بل وعد الحق سبحانه وتعالى هؤلاء الشباب بما لا يخطر لأحدهم على بال ؛ ترى ما هو ؟ هو قول الحبيب صلى الله عليه وسلم "

سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم " ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله " و لك أن تتخيل أن المكافأة تفوق ما قام به الرجل الصالح بكثير ولكنها رحمة الله وعطاءاته التي تفوق الوصف والحصر فقال سبحانه وتعالى " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها "

أرأيت كم هي غيرة الله جل وعلا على أعراض عباده وكم يعطى لمن يحافظ عليها وكيف يكافئ من ابتعد عن المعصية وراعى الله سبحانه وتعالى فكان الجزاء على خوفه من الله وصيانتها لأعراض الناس أن يرفع الله جل وعلا قدره على رؤوس الأشهاد بل ويؤمنه من الفزع الأكبر ويظله الله جل وعلا بظل عرشه في يوم يلجم فيه العرق أهل الحشر إجماعا وتقرب فيه الشمس من الرؤوس فيه قال جل وعلا {وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} البقرة ٢٨١

وقال عنه الشاعر :

مثل لقلبك أيها المـغرور	* يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت	* حرا على رؤوس العباد تفور
وإذ النجوم تبدلت وتغيرت	* بعد الضياء كدور
وإذ الجبال تقلعت	* فرايتها مثل السحاب تسير
وإذ الجنين متعلق بأمه خوف	* الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله فكيف	* المقيم على الذنوب دهور ؟

ومن ثم فإن كان لدى سيدنا يوسف عليه السلام من الإيمان والتربية ما عصمه من الوقوع في الرذائل فإن لدى المؤمنين من الإيمان بالقرآن والسنة وتوجيهات المعصوم صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يكون رادع لهم عند الاقتراب من الفواحش وبخاصة أن الحق سبحانه وتعالى قال {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى {
النجم ٣٢

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما أخفقت جميع محاولات زوجة العزيز فلم تجد بدا من الإفصاح فاستدعته إلى مخدعها وحجرة نومها ولم تأمر الخدم بإغلاق الأبواب بل أغلقتها بنفسها لتطمئن أن الأمر على ما يرام بالنسبة لها وانه ليس هناك ما يعكر صفوها . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن قيل لماذا دخل يوسف عليه السلام إلى هناك وهو يعلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ؟ نقول إن هذا امر عادى فهو فتاها وبمثابة الابن فهي من قامت على تربيته وكل يوم يتحرك في القصر يحمل هذا ويحضر ذاك دون حرج . ولكن ليس السؤال كذلك ، بل ينبغي أن يكون ما الذي دفع امرأة العزيز على التفكير في هذا الأمر ؟ وهذا يدفعنا أن نقول للمتشدقين والرافضين لسنة المعصوم صلى الله عليه وسلم أفيقوا فهذا الموقف يستدعى إلى الذهن على الفور حديث المعصوم (إياكم والدخول على المغيبات فقال رجل يا رسول الله أرايت الحمو ؟ قال : الحمو الموت ، الحمو الموت " حقا صدق رسول الله .

فإن دخول من لا يخشى من دخولهم على النساء دون وازع أو محرم أمرا غير محمود العواقب ولقد رأينا ما حدث من امرأة العزيز ، فهب أن الرجل هنا هو آخر غير نبي الله يوسف عليه السلام لحدثت الكارثة ولذا قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر منبها الجميع ومعلما إياهم بأن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم في العروق فقال صلى الله عليه وسلم (ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما)

فلك أن تتخيل رجل وامرأة ومعهما شيطان ولقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل بأن الملائكة لا تكن في مكان فيه شيطان فما النتيجة المتوقعة ؟ ولذا ينبغي الالتزام بما امر به صلى الله عليه وسلم وصدق الحق حين قال وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {الحشر ٧

الحياة بين القرآن الكريم والعهد القديم

و من مظاهر البلاغة في القرآن الكريم أن جمع الحق سبحانه وتعالى كل ما فعلته المرأة من هيئته نفسية وجسدية في (هَيْتَ لَكَ) دون أن يחדش لأحد حياة فلو اجتمع الأدباء والشعراء على أن يصفوا الموقف بكلمة واحدة تؤدي المعنى دون أن تחדش الحياة ما استطاعوا .

ولدينا العديد من الأشعار والقصائد والقصص التي تحمل بين سطورها ألفاظا ما انزل الله بها من سلطان بل إنها تهيج المشاعر وتوجج الغرائز وإن أردت المزيد منها فعليك بما ذكره العهد القديم وقدمه في سفر كامل باسم نشيد الإنشاد فهم يزعمون أنه من عند الله ونقسم بالله الذي لا إله إلا هو بأنه ليس من عند الله جل وعلا ؛ فإن رجلا لديه بقية حياة لا يستطيع أن يكتب ما كتبه وحتى لا نكون مفترين ومتحدثين بدون دليل

إليك بعض الفقرات من نشيد الإنشاد :-

في الإصحاح الرابع من نشيد الإنشاد يقولون : ١ها أنتِ جميلةٌ

يا حبيبتي، ها أنتِ جميلةٌ! عَيْنَاكَ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكَ. شَعْرُكَ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلٍ جَلْعَادٍ. ٢أَسْنَانُكَ كَقَطِيعِ الْجَزَائِرِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْعَسَلِ، اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُنْتَمٍ، وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ. ٣شَفَتَاكَ كَسَلَكَةِ مِنَ الْقَرْمِزِ، وَفَمُكَ حُلْوٌ. خَدُّكَ كَفَلَقَةِ رُمَانَةٍ تَحْتِ نَقَابِكَ. ٤عُنُقُكَ كَبُرْجِ دَاوُدَ الْمَبْنِيِّ لِلْأَسْلِحَةِ. أَلْفٌ مِجَنٌّ عُلِقَ عَلَيْهِ، كُلُّهَا أَتْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ. ٥تَدْيَاكِ كَحَشْفَتَيْ طَيْبِيَّةٍ، تَوَآمَيْنِ يَرْعِيَانِ بَيْنَ السُّوسَنِ. ٦إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَرَمَ الظَّلَالُ، أَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ الْمُرِّ وَإِلَى تَلِّ اللَّبَانِ. ٧كُلُّكَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكَ عَيْبَةٌ.

ونص آخر من الإصحاح السابع من نشيد الإنشاد ١ما

أَجْمَلَ رِجْلَيْكَ بِالتَّغْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فِخْدَيْكَ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنَعَةَ يَدَيِّ صَنَاعِ. ٢سُرَّتْكَ كَأَسٌّ مُدَوَّرَةٌ، لَا يُعَوِّزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكَ صَبْرَةٌ حَنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسُّوسَنِ. ٣تَدْيَاكِ كَحَشْفَتَيْنِ، تَوَآمِي طَيْبِيَّةٍ. ٤عُنُقُكَ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالْبَرْكِ فِي حَشْبُونٍ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمِ. ٥أَنْفُكَ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاطِرِ تُجَاهَ دِمَشْقٍ. ٥رَأْسُكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكَ كَأَرْجُوَانٍ. ٦مَا أَجْمَلُكَ وَمَا أَحْلَاكَ أَيُّهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّدَاتِ! ٧قَامَتْكَ هَذِهِ شَبِيهَةٌ

بِالتَّخَلَّةِ، وَتَدْيَاكَ بِالْعَنَاقِيدِ. ٨ قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُدُوقِهَا». وَتَكُونُ تَدْيَاكَ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالْتَفَاحِ، ٩ وَحَنَكُكَ كَأَجُودِ الْخَمْرِ. لِحَبِيبِي السَّائِغَةِ الْمُرْفَرِقَةِ السَّائِحَةَ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أما قول الحق سبحانه على لسان امرأة العزيز ليوسف عليه السلام " هيئت لك " أدى المعنى وصور لنا الحالة النفسية والرغبة التي وصلت إليها المرأة دون إسفاف أو إخلال بالمعنى فسبحان الله القائل " الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا والقائل جل وعلا { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } النساء ٨٢

ولكن حدث ما لم تتوقعه — { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } يوسف ٢٣

ألم أقل لك عزيزي القارئ أنه قد صدق المعصوم صلى الله عليه وسلم حين قال : اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله " فلقد رد يوسف عليه السلام الجميل لسيدته في وقت وموقف لا يستطيعه غير ابن الأكرمين فقال لها { إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ }

أقول لبني إسرائيل

وقد يتبادر إلى الذهن أن موقف يوسف عليه السلام إنما هو رد للجميل فحسب لا حاشا لله فهم الأنبياء أكرمهم الناس أو خذلوهم فلو لم يكرمه العزيز ما تغيرت طباع نبي الله يوسف عليه السلام .

وتلك مناسبة طيبة أقول فيها لبني إسرائيل : كذلك الأنبياء فصححوا المفاهيم عنهم وابلغوا أبناءكم الحقيقة ولا تقولوا على الله إلا الحق فإنه جل وعلا اختار الأنبياء وجعلهم الأصفياء وائتمنهم على رسالته فهم أطهر وأنقى الخلق على الإطلاق .

ومن ثم فينبغي على أهل الكتاب إعادة النظر في ما لديهم من مصادر عن الأنبياء وكفى ما مضى حتى يستطيع ابنهم أن يروا الصورة النقية للأنبياء كما أرادها الحق

سبحانه ليكون لهم فيهم القدوة الحسنة بدلا من الإقتداء بالقتلة والجرمين والشواذ
 وصدق الحق حين قال { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ
 تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } المائدة ١٥
 وان قالوا بأن يوسف عليه السلام حالة خاصة بين الأنبياء نقول لهم كلا بل إن
 الأنبياء جميعا رباهم الحق جل وعلا وإن تعرضوا جميعا لما تعرض له نبي الله يوسف
 لتصرفوا بنفس المنطق ألم يقرأوا قول قوم ثمود وكانوا من طواغيت الأرض حين
 قالوا لنبي الله صالح كما حكي القرآن الكريم { قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا
 قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا فِي شِكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ
 } هود ٦٢

ألم يقرأوا قول ابنتي نبي الله شعيب عن موسى عليه السلام { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ
 اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } القصص ٢٦
 فلما أبي سيدنا يوسف عليه السلام وكان وازع الإيمان لديه أقوى نجاه الله جل وعلا
 . ونحن نؤمن ببراءة نبي الله يوسف عليه السلام ، ولكن هل معنى هذا انه بمجرد أن
 قالت له " هيت لك " أسرع نحو الباب أو وقف متبلدا ؟ فقد يقال بأنه ليس لديه
 ما يدفعه نحو النساء اى أن يكون حصورا ، وقتها فالحكمة لا توتي ثمارها .
 لأنه لكي يكون لنا في هذا الموقف عبرة هو أن يكون لدى يوسف عليه السلام
 القوة والشباب والرغبة ويهيئ الموقف له على أفضل ما يكون فيعزف عنه رغبة في
 الثواب وبعدا عن المعصية هنا يظهر الإيمان والاستعانة بالله العلي القدير الذي يمن
 عليه ويرى انه حقا يستحق أن يُعصم ، فتأتي العصمة ويكون التشبث .
 فالله جل وعلا وحده ناصر من ينصره ومعين من استعان به ، فالموقف كان يقتضى
 انه حين رآها يوسف عليه السلام على هذا الوضع وهو شاب قوى البنيان حسن
 الصورة وبلغ أشده من الكمال والجمال والعقل أن يتفاعل مع الموقف إلا أن الرصيد
 الإيمانى والعصمة منعه من ارتكاب الفاحشة .

فكأن يوسف عليه السلام قارن بين الرذيلة وبين ما عند الله فوجد أن ما عند الله
 خير وأبقى لأنه ما ترك عبد شيئا يريد لوجه الله جل وعلا إلا وأبدله الله سبحانه

وتعالى خير منه فقال تعالى { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } البقرة ١١٠

وتذكر نبي الله يوسف انه من ذرية رجال وآباء صالحين عهد الله إليهم بحمل الأمانة قال عنهم الحق سبحانه { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } الأنعام ٨٩ وانه سليل نبي الله إبراهيم خليل الرحمن و نبي الله إسحاق و نبي الله يعقوب عليهم جميعا وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

فإن لم ينتبه و اخطأ ابن الأكرمين " لا قدر الله " ولديه هذا الرصيد الإيماني والوراثي فمن إذن ؟ وفوق وقبل كل هذا تذكر يوسف انه لا حول لأي إنسان ولا قوة إلا إذا استعان بالله رب العالمين .

و الله جل وعلا نجاه من إخوته ، وأنقذه من البئر ، وجعله في أفضل مكان يعامل معاملة أبناء الملوك ، وكما أنه أعلم الناس بقول الحق سبحانه { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } الرحمن ٦٠ ولأن يوسف عليه السلام لم يغفل عن ذكر الله جل وعلا لحظة فكل ما سبق من تفكير لم يستغرق ثوان معدودة ولذا نراه على الفور قال " معاذ الله "

ثم يبين لنا القرآن الكريم أن الأنبياء وإن كانوا في أحلك الظروف وأشدّها فهم لا ينسون الله جل وعلا بل وينسبون الفضل دائما وأبدا لله رب العالمين ويوسف عليه السلام لا تفوته هذه الفرصة دون أن يذكر فضل الله جل وعلا عليه فهو ليس من اللئام الذي إن أحسنت إليه تمردا — { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } يوسف ٢٣

وعن قوله " إنه ربي " فقد يقصد أن ينسب الفضل للحق جل وعلا وهذا امر طبيعي كما أوضحنا وإن كان يقصد العزيز فهذا كرم منه لأنه رباه وأحسن مشواه فأقل ما ينبغي أن يفعله هو أن يصون عرضه في غيبته كما يصونها في حضوره . وهذا من روائع القرآن الكريم فإنه يعطى العقل حقه في التفكير .

ولما لم ترتدع المرأة اتجه يوسف عليه السلام ناحية الأبواب فإذا بها مغلقة فلم يرجع ويقول ماذا افعل؟ إنما ورطة ولكنه أقدم ناحية الأبواب يفتحها بابا وراء الآخر ولم

تكن حركة أو مشيا عاديا ، فيوسف عليه السلام لديه رغبة ملحة في النجاة من الموقف و للمرأة رغبة ملحة في جذب يوسف عليه السلام إليها فكانت الحركة سباق فلم تجد أمامها إلا القميص .

ولك أن تتخيل أن قميص يوسف وهو بمثابة ابن العزيز فلا بد أن قميصه من الجودة يمكن حتى لا يمزقه إلا التنافر الشديد فيوسف عليه السلام يسرع نحو الباب بكل قوته والمرأة تجذبه بكل قوتها فلم يتحمل القميص فُقطع .

سبحان الله الذي بين كل ما سبق في آية واحدة وفي تصوير رائع فقال جل وعلا {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} يوسف ٢٥

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} و شاء الله جل وعلا أن يصل يوسف عليه السلام الباب الرئيسي في الوقت الذي يصل فيه العزيز إلى القصر بل ومعه رجل وليس أي رجل بل من أهل زوجته وحسنا لم يخلع يوسف قميصه (كما حكى أهل الكتاب في العهد القديم) لأن المفاجأة أذهلت العزيز فوقف صامتا جامدا .

و لأنه رأى من ماضي و تاريخ يوسف عليه السلام ما يجعله يطمئن له ولوجوده في المنزل دون رقيب ولكن ما حدث الآن يطيش له العقل ؛ الزوجة تتهم فتها بل وتصدر القرار بالعقاب لتؤكد أنه أقدم على ارتكاب الخطأ فقالت {مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يوسف ٢٥

ولأن يوسف على حق فإذا به يدافع عن نفسه — {قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي} لك أن تتخيل لو أن يوسف عليه السلام لا قدر الله اخطأ " لعل أحدا يقول : وما الذي دفعه إلي ذلك ؟ ولكن السؤال الواجب ؛ ولماذا يصمت يوسف عليه السلام فهل يخفي ما حدث ؟ أم أنه يريد العودة ؟ " حاشاه ذلك "

وبما أنه لا يريد هذا ولا ذاك فإذا به يعلنها بمنتهى الصراحة {هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي} وليكون لنا فيه العبرة فمن تعرض لاهتمام أو ظلم ما فلا ينبغي أن يصمت فالحق جل وعلا يقول {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} النساء ١٤٨ وهنا شاء الله سبحانه وتعالى أن يكسر الرجل المصاحب للعزيز حاجز الصمت والدهشة ويقدم حلا منطقيًا فالقرآن الكريم يقول { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِّنْ

الكاذبين {يوسف ٢٦} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ
 {يوسف ٢٧}

مع أننا نجد أنه يقدم صدقها على صدق سيدنا يوسف عليه السلام إلا أن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يظهر براءة نبيه يوسف عليه السلام وبخاصة أنها الحقيقة {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} {يوسف ٢٨} فلما تبين لهم أن المرأة هي التي أخطأت التي الله سبحانه وتعالى على العزيز شيئا من البرد والسلام فإذا به يقول { إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } {يوسف ٢٨} فقد يقول قائل إنه تصرف غريب لا ينبىء عن امرأة ؛ أم أن هذا هو طبع المترفين ؟ ولكن الحقيقة : كأن الله سبحانه وتعالى سلب منه الغيرة حتى يأمن يوسف بادرة العزيز فقد يأمر بنفيه أو بقتله وسبحان الله الذى يحول بين المرء وقلبه .

ثانيا : من العهد القديم

رأينا كيف تناول القرآن الكريم هذا الموقف بحكمة منقطعة النظير ورأينا كيف صور لنا الحالة النفسية ليوسف عليه السلام وصموده صمود الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورأينا ما حدث من زوجة العزيز والشاهد الذي كان من أهلها، وتصرف زوجها، فى أسلوب راق قدر منزله وقائله جل وعلا ليأخذ كل جيل مسلم من الموقف الدروس والعبر التي ينظم بها حياته ويعلمها أبناءه لتكون لهم نورا ونبراسا على طول الزمان .

ولكن يا ترى هل تناول العهد القديم هذا الموقف بنفس الحكمة والموعظة الحسنة ؟ فكثيرا ما قالوا وزعموا انه من عند الله العزيز الحكيم ونحن نؤمن بأن الله جل وعلا كل شئ عنده بمقدار ، فلا إطناب ولا ملل ولا حديث يفترى ولا أحداث تذكر فى كتاب مقدس للتسلية وإنما للعبرة والحكمة وإلا فلا .

ولقد قام القرآن الكريم بكل هذه المهام وأكثر ، فهيا بنا نتابع العهد القديم لنرى هل أوفى بما عاهد عليه الله :

٧ وَحَدَّثَ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةً سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتْ:
 «اضْطَجَعْتُ مَعِي». ٨ فَأَبَى وَقَالَ لَامْرَأَةَ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لَا يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي

الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدَي. ٩ لَيْسَ هُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمَسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكَ، لِأَنَّكَ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللَّهِ؟». ١٠ وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجَعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا.

في هذه الفقرة عدة أمور غاية في الغرابة :

أولاً : ذكروا أن المرأة كانت تكلم يوسف عليه السلام وتطلبه يوماً فيوم ليضطجع معها ولو كان الأمر كذلك فهذا يدين يوسف عليه السلام وليس في صالحه لأن هذا فيه تلميح أن هناك لقاءات ومواقف بين يوسف وامرأة العزيز كما يقول الشاعر ابتسامة فموعد فلقاء وإلا فما الدرس المستفاد من هذه الفقرة .

ثانياً : ثم إن عبارة اضطجع معي تعطي أكثر من معنى فلقد ذكرت في العهد القديم بأكثر من معنى: منها ما يفيد الجماع الغير مشروع والعجيب أنهم ذكروا تلك اللفظة مع الأنبياء فقالوا عن نبي الله داود. ٢ وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمُنْظَرِ جَدًّا. ٣ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَالَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَشِيعَ بِنْتِ أَلِيْعَامِ امْرَأَةِ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». ٤ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ٥ وَحِيلَتْ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى».

لأن الجماع المشروع يشيرون إليه بكلمة أخرى وهي " عرف " فقالوا عن آدم وحواء ١ وَعَرَفَ آدَمُ حَوَاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتْ: «أَفْتَنَيْتُ رَجُلًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». ٢ ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلًا فِي الْأَرْضِ.

وقد تفيد اضطجع معنى آخر وهو الدفن فقالوا عن نبي الله داود ١٠ وَاضْطَجَعَ دَاوُدُ مَعَ آبَائِهِ، وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ. ١١ وَكَانَ الزَّمَانُ الَّذِي مَلَكَ فِيهِ دَاوُدُ عَلَى

إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فِي حَبْرُونَ مَلِكَ سَعِ سِنِينَ، وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلِكًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. ١٢ وَجَلَسَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَتَثَبَّتْ مُلْكُهُ جَدًّا.

الموقف كما حكاه العهد القديم

١١ ثُمَّ حَدَّثَ نَحْوَ هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. ١٢ فَأَمْسَكَتُهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: «اضْطَجِعْ مَعِي!». فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدَيْهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. ١٣ وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدَيْهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، ١٤ أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمُ قَائِلَةً: «انظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بَرَجُلٌ عِبْرَانِيٌّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. ١٥ وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ».

أولاً : علام تدل عبارة " نَحْوَ هَذَا الْوَقْتِ " ؟ لا شك أنهما دليل قطعي على أن الذي يتكلم هو أي أحد غير الله سبحانه وتعالى بدليل أن المتحدث يريد أن يبين لمن يحدثهم الوقت الذي تم فيه هذا الأمر. وهذا دليل على أن الكاتب وهو يكتب هذه العبارة كان في وقت الظهيرة مثلا أو أي وقت ما ، مما جعله يقول " وحدث نحو هذا الوقت "

ثانياً : لقد صور كتبه العهد القديم أن امرأة العزيز ليس وراؤها ولا يشغل فكرها إلا كيف توقع يوسف عليه السلام في شباكها وإن قيل لقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك نقول نعم ولكن ليس بهذه الطريقة وإنما أوجز القرآن الكريم ما حدث في كلمات موجزة أدت المعنى وبينت انه كان في موقف معين محدد وقد تتعرض له بعض السيدات اللاتي يتعرضن لمثل تلك الظروف وقد قيل لامرأة حسبية من العرب ارتكبت الفاحشة ما أوقعك في هذا فقالت " طول السواد وقرب الوساد " كما انه لم يستغرق دقائق معدودة ليقطع الطريق على المتشدين .

أي منطق هذا ؟

بخلاف العهد القديم الذي يحاول أهله أن يثبتوا في صدور أبناءهم كيف يداعبون وكيف يتغازلون، فهل من المنطق أن يخلع المرء ثوبه إن تعرض لمثل هذا الموقف؟ لأنه وبدون تفكير إن رآه احد فلاشك أنه سيدينه. فما ذكروه في العهد القديم قدم لامرأة العزيز دليل برأتها واتهام يوسف عليه السلام " حاشاه " مما شجعها على أن تصرخ وتنادى أهل البيت .

ثالثا : ولم يكتب العهد القديم بذلك بل أعادوا ما ذكرته امرأة العزيز من قبل وأفاضوا في ذكر أمور لا طائل من وراءها ، فما الدروس المستفادة إذن ؟ غير أنهم يريدون أن يطبقوا المثل القائل "ضربني وبكى وسبقني واشتكى" والعجيب أنهم صوروا امرأة العزيز وهي حزينة تأسف عما حدث ولم يذكروا ما حدث ليوسف عليه السلام فهل هرب أم جلس بجوارها بدون ثياب " حاشاه " حتى حضر العزيز أم ماذا حدث لأنهم قالوا :

إطباب لا طائل من ورائه

إذا يقولون ويعيدون على الأسماع ما قالوه من قبل ألا وهو : ١٦ فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ. ١٧ فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. ١٨ وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ». ١٩ فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلَامَ امْرَأَتِهِ الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِهِ قَائِلَةً: «بِحَسَبِ هَذَا الْكَلَامِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ»، أَنْ غَضِبَهُ حَمِي. ٢٠ فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ.

أرأيت كيف أفاضوا في عرض قضية المرأة رغم أنها ظالمة ثم ما فاتدة عبارة " بمثل هذا الكلام " فكانت تكفي هذه العبارة إلا أنهم جعلوها تعيد الكلام مرة أخرى ،والعجيب أنهم قالوا أن زوجها "حمي غضبه " أين المرؤة والشهامة والدفاع عن الأعراس ؟

أهل الكتاب و تهوين أمر الكبائر :-

فهذا شئ يسير بالنسبة لما حدث ؛ نحن تصورنا أن يفعل شيئاً آخر وبخاصة أن يوسف عليه السلام وقف صامتا دون تبرير وجهة نظره . أم أنهم يريدون أن يغرسوا في صدور ابناهم أن هذا شئ يسير . ودليل ذلك أنهم ذكروا قصة زنا يهوذا ابن نبي الله يعقوب عليه السلام والذي يفتخر بنوا إسرائيل بالانتساب إليه بزوجة ابنه واسمها ثامار . ولم يستحي بنوا إسرائيل لا من ذكر القصة ولا من ذكر الأسماء والعجيب أنهم ذكروها في ثنايا ذكرهم قصة سيدنا يوسف وذكروها بإسلوب مستفز مقزز فقالوا :

١ وَحَدَّثَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ يَهُودًا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ إِخْوَتِهِ، وَمَالَ إِلَى رَجُلٍ عَدْلَامِيٍّ اسْمُهُ حِيرَةُ. ٢ وَنَظَرَ يَهُودًا هُنَاكَ ابْنَةَ رَجُلٍ كَنْعَانِيٍّ اسْمُهُ شَوْعٌ، فَأَخَذَهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، ٣ فَحَبَلَتْ وَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَا اسْمَهُ «عِيرًا». ٤ ثُمَّ حَبَلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «أُونَانَ». ٥ ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَيْضًا ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «شَيْلَةَ». وَكَانَ فِي كَزَيْبٍ حِينَ وَلَدَتْهُ.

٦ وَأَخَذَ يَهُودًا زَوْجَةً لِعَيْرٍ بَكَرِهِ اسْمُهَا ثَامَارُ. ٧ وَكَانَ عَيْرٌ بَكَرٌ يَهُودًا شَرِيرًا فِي عَيْنِي الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ. ٨ فَقَالَ يَهُودًا لِأُونَانَ: «ادْخُلْ عَلَيَّ امْرَأَةَ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلًا لِأَخِيكَ». ٩ فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لَا يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ امْرَأَةَ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الْأَرْضِ، لِكَيْ لَا يُعْطِيَ نَسْلًا لِأَخِيهِ. ١٠ فَفَتَحَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. ١١ فَقَالَ يَهُودًا لِثَامَارَ كَتَبْتِهِ: «أَقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكَ حَتَّى يَكْبُرَ شَيْلَةَ ابْنِي». لِأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضًا كَأَخَوَيْهِ». فَصَصَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا.

١٢ وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتِ ابْنَةُ شَوْعٍ امْرَأَةً يَهُودًا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُودًا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازٍ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبَةُ الْعَدْلَامِيِّ. ١٣ فَأَخْبَرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُودًا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجْزَّ غَنَمَهُ». ١٤ فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرْمُلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِرُقُوعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمِ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شَيْلَةَ

قَدْ كَبِرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. ١٥ فَنَظَرَهَا يَهُودًا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. ١٦ فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلِي عَلَيَّ». لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَتَبَتْهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» ١٧ فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدِّي مِعْرَى مِنَ الْعَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». ١٨ فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكَ؟» فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ١٩ ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقَعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرْمَلِيهَا.

٢٠ فَأَرْسَلَ يَهُودًا جَدِّي الْمِعْرَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدْلَامِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا. ٢١ فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَاتِلًا: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَائِمِ عَلَيَّ الطَّرِيقِ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ هَهُنَا زَانِيَةً». ٢٢ فَرَجَعَ إِلَى يَهُودًا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا. وَأَهْلُ الْمَكَانِ أَيْضًا قَالُوا: لَمْ تَكُنْ هَهُنَا زَانِيَةً». ٢٣ فَقَالَ يَهُودًا: «لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِنَلَّا نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أُرْسَلْتُ هَذَا الْجَدِّي وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا».

٢٤ وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُودًا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَتَبَتْكَ، وَهِيَ هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الزَّانَا». فَقَالَ يَهُودًا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ». ٢٥ أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أُرْسِلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَاتِلَةً: «مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هَذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى!» وَقَالَتْ: «حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعِصَا هَذِهِ». ٢٦ فَتَحَقَّقَهَا يَهُودًا وَقَالَ: «هِيَ أَبْرُ مَنِّي، لِأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشَيْلَةَ ابْنِي». فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا. أرى أن القصة واضحة وليست بحاجة إلى تعليق وبخاصة أننا لسنا بصددها ولكن كما يقال أن الشيء بالشئ يذكر .

لولا القرآن الكريم:-

كما أنهم لم يذكروا أى دليل على براءة يوسف عليه السلام أو انه أخذ إلى السجن ظلماً لأنه بهذا يكون قد دخل السجن بسبب ما أراد أن يرتكبه من آثام "حاشاه" ثم هل الغضب فى مثل هذه الأمور ينتهي إلى السجن فحسب .

فجزاء السجن لا يتفق مع الموقف وإلا فإنما يدل على أن هذه الأمور لم يكن لدى كتبة العهد القديم ما يدعوهم للوقوف عندها بالتوضيح مثل القرآن الكريم الذي

بين بوضوح هذا الموقف ولم ينتقل القرآن الكريم للحدث التالي له إلا بعد أن تيقن الجميع من براءة يوسف عليه السلام فلم يترك الأمر غامضا للأفكار والهواجس والشياطين يسبحون فيه كيفما يشاؤون.

ثم ماذا عن المجتمع والنسوة المجاورين لهم هل مر الحدث عليهم مرور الكرام أم أنهم كانوا يعيشون منفصلين عن العالم بل وأين من كانت تشكو إليهم قبل مجئ زوجها؟ ألم تعلق النسوة والجيران على الحدث؟ فلم يقدم لنا كتابة العهد القديم تصورا عن المجتمع ثم أين يوسف عليه السلام ولما لم يتحدث ويدافع عن نفسه. كما أنهم لم يذكروا أن يوسف عليه السلام تذكر الرب جل وعلا في هذه اللحظة مع أن الله سبحانه وتعالى بارك له في كل شيء ألا يستحق جل وعلا أن يذكره يوسف عليه السلام أو أن يدعو ليخلصه مما هو فيه. مع أنهم دائما يذكرون أن الرب معه وباركه وبسط إليه لطفًا ونعمه.

٢١ وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنِي
رَيْسِ بَيْتِ السَّجْنِ. ٢٢ فَدَفَعَ رَيْسُ بَيْتِ السَّجْنِ إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الْأَسْرَى
الَّذِينَ فِي بَيْتِ السَّجْنِ. وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُنَاكَ كَانَ هُوَ الْعَامِلَ. ٢٣ وَلَمْ يَكُنْ
رَيْسُ بَيْتِ السَّجْنِ يَنْظُرُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ، لِأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ
كَانَ الرَّبُّ يُنَجِّحُهُ

وللمرة الثانية أرادوا أن يبينوا لأبنائهم أنهم إذا حلوا بمكان عليهم أن يستحوذوا على ما فيه وأن يتجاهلوا أهله بكل السبل وأن يجعلوا صاحب المكان لا علم له بما يحدث. فما علاقة أن يدفع رئيس السجن الأسرى إلى يد يوسف عليه السلام، ألم يكن سجينًا مثلهم؟ وما معنى أن يقوم بأعمالهم وخدمتهم؟ هل ليكون هو كل شيء؟ أم ليكون عالما بكل تحركاتهم؟

ومن المعلوم أن يدور بين من بداخل أي مكان وخاصة السجن حوار وأن يسأل كل منهم الآخر عن سبب سجنه فيا ترى هل سألوا يوسف عليه السلام عن سبب سجنه؟ وبماذا أجابهم؟ فهل قال الحقيقة أم ظل صامتا؟ وكيف وثقوا به؟ إذن لولا

القرآن الكريم لظل الناس يظنون في يوسف الظنونا . فالحمد لله رب العالمين الذي حفظ القرآن الكريم وحفظ فيه سير الأنبياء العظماء ليكون لنا فيهم القدوة الحسنة .

فهيha نعود إلى القرآن الكريم سريعاً لنبين ما أخفاه بنوا إسرائيل إما عمداً وإما جهلاً وصدق الحق حين قال { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } المائدة ١٥ صدق ربنا سبحانه وتعالى حين قال { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ } يوسف ٣

السجن أحب إلى الأنبياء من

فهيha بنا نتابع ما حدث لأنه لم يكن يوسف وبيت العزيز وحدهم في الدنيا بل إن هناك مجتمع ولعل المجاورين لهم سمعوا بما حدث فماذا كان رأيهم وما هي نظرهم للموقف وماذا حدث من امرأة العزيز حين تعلم بحديث النسوة أو المجاورين لها ؟

{ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } يوسف ٣٠ - ٣٢

{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ } يوسف ٣٣ - ٣٥

{ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ } فمن أين علمت النسوة ؟ لا شك انه حين جاء العزيز لم يأت بمفرده ، ومن ثم فإن من معه لا بد أن يكونوا قد نقلوا إلى أسرهم ما حدث . إلا أن القرآن الكريم ينأ عن الحديث عما يفهمه القارئ ليعطى القارئ فرصة للتفكير والتصور .

أما عن " شَغَفَهَا حُبًّا " فإن له أكثر من معنى الأول : ربما أصابتهن الدهشة فتسألن: كيف لامرأة مثلها وفي مكانتها أن تقع في هذا الأمر؟ و الثاني : إما أن تكن لديهن رغبة في رؤية هذا الشاب فقلن تلك الكلمة لتصل إلى امرأة العزيز فتستدعيهن إليها في القصر ليرين بأنفسهن هذا الشاب الذي أخذ بلب وقلب امرأة العزيز.

وهذا ما وصل إلى فهم امرأة العزيز ويبدوا أنها كانت على قدر من الدهاء والذكاء {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } يوسف ٣١

فدبرت لهن مكيدة لم تخطر لهن على بال فهي أدري بنات جنسها وفيما يفكرن وظهر مكرها ودهائها في أكثر من موضع. فأعدت لهن متكئا ومجلسا مريحا وأعطت كل واحدة منهن طبقا وسكينا ليقطعن ما سيأتي إليهن من طعام فهن في بيت الأمراء فلا بد أن هناك طعاما خاصا يحتاج في أكله إلى أن يقطع إلى قطع صغيرة وحتى لا ينكرن وجود هذه الآلات الحادة . ولكن كان لامرأة العزيز هدفا آخر أرادت أن تلقنهن درسا غاليا .

فليس من رأى كمن سمع فهاهن وبعد قليل سيرين هذا الشاب الجميل صاحب الخلق الكريم الذي آبي أن يستسلم لإغرات امرأة العزيز ، فيا ترى كيف سيكون تصرفهن حين تقع أعينهن لأول مرة على رجل بهذا القدر من الجمال المصحوب بالأدب والأخلاق الرفيعة وهيبة الأنبياء وعظمتهم ؟

كما أنها في الأغلب حين استدعت النسوة كان في داخل حجرات القصر و أجلستهن في مكان مغلق حتى لا يشغل بالهن شئ إلا أن يرين طلعة هذا الشاب الكريم وكذلك ليكون انسب للبساط والمتكنات ودليل ذلك أنها قالت {اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ} فكلمة {اخْرُجْ} تدل على أنها احتجزته داخل القصر ليتشوقن أكثر فأكثر . وكلمة {عَلَيْهِنَّ} تدل على أن طلعة يوسف عليه السلام كإطلال القمر.

وقد كان فلما خرج يوسف عليه السلام وأطل عليهن فإذا بهن وقد اخذ جماله عليه السلام بقلوبهن وأصبحن في حالة اللاوعى حتى أنهن لم يشعرن بأنفسهن {وَقَطَّعْنَ

أَيْدِيَهُنَّ} فلك أن تتخيل كيف انتصرت امرأة العزيز لنفسها واستطاعت وبالتجربة أن تسد أفواه النسوة فلن يعدن لمثل هذا الحديث مرة أخرى فهن تجرد رؤيته مرة واحدة بمكر امرأة العزيز أحدثت هن عاهة مستديمة لن تنساها النسوة أبدا .

هيبه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم :-

ولقد عبر القرآن الكريم عن الموقف بمنتهى الروعة والدقة فقال جل وعلا {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ
{يوسف ٣١

وكلمة {أَكْبَرْنَهُ} من الكلمات الرائعة والتي تحمل في طياتها أعلى معاني الإعجاب والتقدير والاحترام والهيبه ولتقرب المسالة إلى الأذهان نذكر ما قاله أبرهة لعبد المطلب جد المعصوم صلى الله عليه وسلم فيروى ابن هشام : أن أبرهة بن الصباح الحبشى، النائب العام عن النجاشى على اليمن، لما رأى العرب يحجون الكعبة بني كنيسة كبيرة بصنعاء، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسمع بذلك رجل من بني كنانة، فدخلها ليلاً فلطخ قلبتها بالعدرة. ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه، وسار بجيش عرمرم — عدده ستون ألف جندي — إلى الكعبة ليهدمها، واختار لنفسه فيلا من أكبر الفيلة، وكان في الجيش ٩ فيلة أو ١٣ فيلا، وواصل سيره حتى بلغ المَعَمَّس، وهناك عبأ جيشه وهياً فيله، وتهيأ لدخول مكة .

وأرسل سرايا لتأخذ ما تجده في طريقها ليعلم أهل مكة بقدومه فيستسلموا له دون قتال . وكان مما استاقوه أمامهم مائتي بعير لعبد المطلب جد المعصوم صلى الله عليه وسلم فذهب إليه فلما رآه أبرهة استعظمه وقام واقفا له إجلالا وإكبارا إلا أن عبد المطلب رأى أن أبرهة اقل من أن يحدثه في أمر الكعبة فقال له عبد المطلب : رد علي إبلي :

فقال له أبرهة : لقد أكبرتك حين رأيتك وتعلم أني جئت لهدم بيتكم الذي فيه عزكم وفخركم وتسألني عن الإبل فقال عبد المطلب قولته المشهورة فأنا رب الإبل أما البيت فله رب يحميه فقال أبرهة ما كان ليمنعه مني قال عبد المطلب : أنت وذاك .

فلما كان في وادي مُحَسَّرٍ بين المزدلفة ومنى برك الفيل، ولم يقدّم إلى الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم يهرول، وإذا صرفوه إلى الكعبة برك، فبيناهم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول. وكانت الطير أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر ثلاثة أحجار؛ حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص، لا تصيب منهم أحداً إلا صارت تنقطع أعضاؤه وهلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هارين يموج بعضهم في بعض، فتساقطوا بكل طريق وهلكوا على كل منهل، وأما أبرهة فبعث الله عليه داء تساقطت بسببه أنامله، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل الفرخ، وانصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

{ إن كيدهن عظيم }

ونعود لامرأة العزيز فلما تأكد لديها بغريزتها أن النسوة ما قلن ما سبق إلا لأنهن يردن رؤية يوسف عليه السلام هنا ولأمر أراده الله جل وعلا ، ألا وهو : أن الحق سبحانه وتعالى قد يجعل العبد يصل بصلفه وغروره إلى الاعتراف بما أقدم عليه ظناً منه أنها الجرأة والقوة . وفي هذا المعنى يقول تعالى {وَيُصِخُّ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} {الرعد ١٣}

وهذا ما حدث لامرأة العزيز ؛ ففي وسط هذه النسوة الغامرة أسفرت عما بداخلها فـ {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} الله أكبر وهذا هو المراد ليسمع من معها ولتسمع النسوة ومن بالقصر براءة يوسف عليه السلام مما ألقىته به أنفا ولكنها عقببت بما يدل على أن رغبتها لم تنطفئ بعد

وأصرت على أن تنل منه ما تريد فقالت { وَلَكِنَّ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيْسَجَنًّا وَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } يوسف ٣٢ سبحانه الله قدمت الحل ليوسف عليه السلام وهي تريد له الهلاك وهذا لا يستنبطه إلا قليل من الناس ممن من الله جل وعلا عليهم بالفهم والقلب السليم .

فعلى الفور اتجه إلى ربه سبحانه وتعالى {وَقَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ } يوسف ٣٣ وهنا سؤال ما الذي دفع بيوسف عليه السلام أن يدخل النسوة في الأمر؟ والمتوقعة هي امرأة العزيز؟ نقول وهل بعد تقطيع الأيدي من حجة؟

فلا بد أن يوسف عليه السلام رأى منهن مالا يطمئن. فهن إن اجتمعن مع امرأة العزيز فبعدها كانت امرأة واحدة تدبر وتكيد فستجتمع إليها أقرانها ليدبرن ويكدن ليوسف عليه السلام وهو عليه السلام لم يخلق لهذا اللهو والعبث إنما خلق لرسالة أخرى وقضية أهم ؛ وهي إعلام من حوله من عبدة الأوثان أن للكون رب يدبر أمره ، عالم بما فيه ، ويُجرى كل شئ بقدر. فما كان ليوسف أن يبلغ تلك الرسالة وهو بين نسوة لا شغل لهن إلا الغمز واللمز .

ولصدقه في دعائه ورغبته الحقيقية في الابتعاد عنهن صرف عنه الحق جل وعلا كيد النساء بما فيهن امرأة العزيز وجعل أصحاب الرأي يرون أنه لا حل لهذه القضية إلا بإدخال يوسف عليه السلام السجن مع أنهم متأكدون من برأته بعد الأدلة التي ذكرناه والتي لا تخفى على احد ولا بد أنهم فهموها وأدركوها جيدا وأدركوا أن الخطورة ليست من جانب يوسف عليه السلام وإنما من جانبهم هم فماذا إذن فهل يقومون بعزل نساء المجتمع ويلقن بهم في السجن أم يلقون بيوسف عليه السلام في السجن؟

براءة يوسف عليه السلام:-

فعلى الأقل هو اخف وطأة ولن يترتب على دخوله السجن مشاكل لهم بخلاف إن ألقوا بالنسوة في السجن ولذا بين القرآن الكريم هذا الموقف {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ
لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ { يوسف ٣٤ - ٣٥

أي بعدما تبين لهم أدلة برأته والتي كان ينبغي معها إكرامه والثناء عليه ومع هذا
ادخلوه السجن . يا سبحان الله

ومن ينظر إلى السياقات السابقة يرى عجا فیری القرآن الكريم وقد مر على بعض
الأحداث مرور الكرام وأحداثا أخرى وقف عندها بالتفصيل لأن القرآن الكريم
وكما قلنا من قبل كل شئ عنده بمقدار فما يفهمه القارئ دون أن يختل المعنى فلا
داعي لذكره لان القرآن الكريم يرفض أن يقدم حشوا زائدا لا ضرورة له.

أما إذا كان فيه درس وعبرة فنجد القرآن الكريم يقدمه وبالتوضيح حسما للطامعين
وردعا للمضلين فالحق جل وعلا يعلم أن الأمر لن ينتهي إلا بدخول يوسف عليه
السلام السجن لأن هذا أمر بديهي لمن كان له قلب لماذا ؟ لأن العزيز ومن معه
أدركوا أن يوسف عليه السلام برئ فقد كان الخطر متوقفا عند امرأة العزيز أما وقد
تحركت النسوة فقد يحدث مالا يحمد عقباه فهل نحجب النسوة وفكرهن ؟

فهذا غير مستطاع أم أن نحجب يوسف عليه السلام وهو فرد واحد وهو في نهاية
الأمر إنسان على دين وخلق وسيقدر خطورة الموقف ثم شاء الله جل وعلا أن لا
يدخل يوسف السجن وهناك أدنى شبهه ضده .

فراينا امرأة العزيز سافرة وهي تعبر عن رغبتها على مرأى ومسمع من الجميع ومن ثم
لم تجد امرأة العزيز حرجا في أن تقول وتعلن عن رغبتها دون حياء فـ { قَالَتْ
فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ
لَيْسَجَنَّ وَليَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ { يوسف ٣٢

فوجدنا بفضل الله العديد من الأدلة على براءة يوسف عليه السلام

أولا : قول يوسف عليه السلام كما حكى القرآن { قَالَ هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ
نَفْسِي {

ثانياً: شهادة الرجل كما أوردها القرآن الكريم { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ ذُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ } يوسف ٢٦ - ٢٧

ثالثاً : واهم من ذلك والذي أراده القرآن الكريم والدرس المستفاد من حضور النسوة هو أن جعل الحق سبحانه وتعالى غرور المرأة يدفعها في الاعتراف بأنها هي التي دعت يوسف عليه السلام وانه آبي اشد الإباء فـ {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } يوسف ٣٢ الله أكبر حقا إن الله جل وعلا شديد الخال

أرأيت أن كل شي في القرآن الكريم إنما جاء لحكمة وموعظة ودرس مستفاد ومن ثم حين رأى يوسف عليه السلام أن ما حل بالنسوة أمرا غير محمود العواقب ومن يدري فكما قطعن أيديهن دون أن يدرين لمجرد رؤيته مرة واحدة فماذا لو طلبن من امرأة العزيز مجاورتها في القصر حتى لا يجرمن من رؤية هذا الملاك وربما يدبرن مع امرأة العزيز ما يعجز فيما بعد عن إثبات براءته بسهولة وبخاصة إن كيدهن عظيم وليس هذا فحسب بل إنما أعلنتها دون حرج أو حياء بأنه إن ظل يوسف على اعتصامه وتدينه وتمسكه بالمبادئ فسيتعرض للعذاب المهين إما السجن وإما أن يكون من الصاغرين.

وصدق المعصوم حين قال " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذ لم تستح فأصنع ما شئت " ودون أن تدرى قدمت ليوسف الحل فحين سمع كلمة السجن فبه ونعم ففي السجن سيختلي بربه جل وعلا وسيقابل أناسا مظلومين وآخرين ظالمين فقد يعظ الظالمين ويعلمهم أن السجن قد يطهرهم من الذنوب ، ويواسى المظلومين ويخبرهم بان بالابتلات يرفع الله درجات عباده فيعلمهم الصبر وان الله جل وعلا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فالسجن أهون ألف مرة من مصاحبة ومجالسة الأشرار.

الم ينصح العالم الجليل الرجل الذي قتل مائة نفس بأن يترك بلده فإنها بلد سوء وأن يذهب إلى بلد كذا فإن بها رجالا صالحين يعبدون الله وقد كانت فاتحة خير عليه فمات الرجل في الطريق فدخل الجنة بنيتة الحسننة ورغبته في التوبة .

فالسجن أهون من الاغتراب فقد تغرب يوسف مرة فإلى أين يذهب ثانية ؟ ثم إن هناك مهمة أخرى من اجلها جاء به الحق جل وعلا إلى مصر ولن يقيم بها غيره فإذا به يقول لربه جل وعلا { قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } يوسف ٣٣

وسبحان الله القائل وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {البقرة ٢١٦} لتعلم العفاف وليصير أصحاب الابتلاءات لقول المعصوم للشباب " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

العفاف من الفطرة السليمة :-

وليس الأنبياء فحسب بل رأينا هند بنت عتبة وهي من هي في العداوة والانتقام قبل الإسلام واكبر دليل على قسوتها أنها دبرت لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم بل ومزقت جسده وقطعت انفه وأذنه وكادت تأكل كبده فلم تستسيغه ومع كل هذه العداوة حين من الله جل وعلا عليها بالإسلام يوم فتح مكة واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وغيرها من النسوة العهد فكان مما قال لهن : أن لا يشركن بالله شيئا ولا يقتلن أولادهن وحين قال صلى الله عليه وسلم ولا يزينن فقالت هند : أو تزني الحرة ؟

ونصح الإمام الشافعي الأمة بأبيات رائعة أراد أن ينبه فيها أن الإنسان الذي يعف نفسه عن الفواحش هو إنسان رابح لأنه عف نفسه وحمى أهله كذلك روحه وجسده من النيران ولم يقدم معصية أو ذنبا يدفع من بعده من أهله ثمنه فيكون العار والذنب مرتين فقال

عفوا تعف نساءكم في الحرم
وتجنبوا مالا يليق بمسلم
من يزني في بيت بالفى درهم
في بيته يزني بغير الدرهم
من يزني يزني به ولو بجداره
إن كنت يا هذا لبيبا فافهم
إن الزنا دين فان أقرضته
كان الوفي من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكا ستر الرجال وقاطعا
سبيل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة طاهر
ما كنت هتاك لعرضة مسلم
فماذا حدث لسيدنا يوسف عليه السلام في السجن هذا ما نتعرف عليه في الباب

التالي

٧- تنبؤات يعقوب

١ وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ: «اجْتَمِعُوا لِأُنْبِئُكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ
الْأَيَّامِ. ٢ اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ، وَاصْغُوا إِلَيَّ إِسْرَائِيلَ
أَبِيكُمْ:

٣ رَأُوبِينُ، أَنْتَ بِكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي، فَضْلُ الرَّفْعَةِ وَفَضْلُ
الْعِزِّ. ٤ فَأَيُّرَا كَالْمَاءِ لَا تَتَفَضَّلُ، لِأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ.
حِينَئِذٍ دَنَسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ.

٥ سَمِعُونَ وَلَاوِي أَخَوَانِ، آلَاتُ ظُلْمٍ سُوِّفُهُمَا. ٦ فِي مَجْلِسِهِمَا لَا
تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لَا تَتَّحِدُ كِرَامَتِي. لِأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلَا
إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرَقَا نَوْرًا. ٧ مَلْعُونٌ غَضِبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ،
وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ. أَقْسَمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأَفَرَّقَهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ.

٨ يَهُودَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو
أَبِيكَ. ٩ يَهُودَا جَرُّو أَسَدًا، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثًّا وَرَبَضًا
كَأَسَدٍ وَكَلْبَوَةٍ. مَنْ يُنْهَضُهُ؟ ١٠ لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودَا وَمُسْتَرَعٌ
مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ.
١١ رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشُهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنُ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ،
وَيَدِمَ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. ١٢ مُسَوِّدُ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبَيِّضُ الْأَسْنَانِ مِنَ
اللَّبَنِ.

^{١٣} زَبُولُونَ، عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ يَسْكُنُونَ، وَهُوَ عِنْدَ سَاحِلِ السُّفُنِ، وَجَانِبُهُ عِنْدَ صَيِّدُونَ.

^{١٤} يَسَاكِرُ، حِمَارٌ جَسِيمٌ رَابِضٌ بَيْنَ الْحَطَائِرِ. ^{١٥} فَرَأَى الْمَحَلَّ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَالْأَرْضُ أَنَّهَا نَزْهَةٌ، فَأَحْنَى كَتِفَهُ لِلْحِمْلِ وَصَارَ لِلْجِزْيَةِ عَبْدًا.

^{١٦} دَانُ، يَدِينُ شَعْبَهُ كَأَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ. ^{١٧} يَكُونُ دَانٌ حَيَّةً عَلَى الطَّرِيقِ، أَفْعُوَانًا عَلَى السَّبِيلِ، يَلْسَعُ عَقْبِي الْفَرَسِ فَيَسْقُطُ رَاكِبُهُ إِلَى الْوَرَاءِ. ^{١٨} الْخَلَاصِكَ انْتِظَرْتُ يَا رَبُّ.

^{١٩} جَادُ، يَزْحَمُهُ جَيْشٌ، وَلَكِنَّهُ يَزْحَمُ مُوَخَّرَهُ.

^{٢٠} أَشِيرُ، خُبْرُهُ سَمِينٌ وَهُوَ يُعْطِي لَذَاتِ مُلُوكِ.

^{٢١} نَفْتَالِي، أَيْلَةٌ مُسَيَّبَةٌ يُعْطِي أَقْوَالَ حَسَنَةً.

^{٢٢} يُوسُفُ، عُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، عُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنِ. أَغْصَانٌ قَدْ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطِ. ^{٢٣} فَمَرَّرْتُهُ وَرَمْتُهُ وَاضْطَهَدْتُهُ أَرْبَابُ السَّهَامِ. ^{٢٤} وَلَكِنْ تَبَتَّتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيِ عَزِيزٍ يَعْفُوبٍ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ، ^{٢٥} مِنْ إِلَهٍ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ، وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ، تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَبَرَكَاتُ الْعَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتَ. بَرَكَاتُ التَّنْذِيئِينَ وَالرَّحِمِ.

^{٢٦} بَرَكَاتُ أَبِيكَ فَاقَتْ عَلَى بَرَكَاتِ أَبِييَّ. إِلَى مُنْيَةِ الْآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ، وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ إِخْوَتِهِ. ^{٢٧} بَنِيَامِينَ ذَنْبٌ يَفْتَرِسُ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُفَسِّمُ نَهْبًا».

^{٢٨} جَمِيعٌ هَؤُلَاءِ هُمْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنَا عَشَرَ. وَهَذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ آبَاؤُهُمْ وَبَارَكَهُمْ. كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَاتِهِ بَارَكَهُمْ. ^{٢٩} وَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي. إِدْفِنُونِي عِنْدَ آبَائِي فِي الْمَعَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ عَفْرُونَ الْحِثِّيِّ.

^{٣٠} فِي الْمَعَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ، الَّتِي أَمَامَ مَمْرًا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي اشْتَرَاهَا إِبْرَاهِيمُ مَعَ الْحَقْلِ مِنْ عَفْرُونَ الْحِثِّيِّ مُلْكًا

قَبْرٍ. ٣١ هُنَاكَ دَفَنُوا إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ امْرَأَتَهُ. هُنَاكَ دَفَنُوا إِسْحَاقَ
وَرَفَقَةَ امْرَأَتَهُ، وَهُنَاكَ دَفَنْتُ لَيْئَةَ.
٣٢ شِرَاءُ الْحَقْلِ وَالْمَعَارَةِ الَّتِي فِيهِ كَانَ مِنْ بَنِي حِثَّ. ٣٣ وَلَمَّا فَرَغَ
يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ ضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ
وَأَنْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ

هذا ما أوصى به نبي الله يعقوب بنبيه من العهد القديم ونحن نشهد الله انه برئ من
هذه الإتهامات الباطلة لأنه لا يليق بنبي كريم مثله وهو في آخر حياته أن يوصى ابناؤه
بمثل هذه الترهات. ولكنها أوهام الصهانية وأعوانهم من النصارى الصليبيين لأنه
وبمنتهى البساطة إن كانت هذه هي وصايا الأنبياء فلا حرج إذن على عوام الناس إن
يرتكبوا المذابح والقتل والسرقة ليل نهار .

وهذا ما يفسر لنا النهم الفظيع الذي نجده عند الصهانية وأعوانهم الصليبيين فهم انما
سجلوا هذه الترهات في كتبهم والصقوها زورا وبهتاننا بنبي الله يعقوب ليظن ابناؤهم
انما دستوروا لا ينبغي أن يجيدون عنه قيد اغملة .

ولذا نحن نناشد اليهود والمسيحين ومن يتبعهم من عوام المسلمين أن يعيدوا النظر
كرة بعد كرة وليحمدوا الله رب العالمين أن أرسل إلينا محمد صلى الله عليه وسلم
وأن أنزل عليه خير كتبه ؛ بل وتولى سبحانه وتعالى حفظه لأنه لو لم يكن لدينا القرآن
الكريم ربما كنا صدقناهم فيما يزعمون ولكن الحمد لله .

أما بالنسبة لنبؤات سيدنا يعقوب من القرآن الكريم فكانت كالتالي :

ونحن إذ نتحدث عن نبي الله يعقوب بهذه الطريقة فنحن لا نزايد عليه ؛ انما هو حقه
فهو نبي كريم ابن نبي كريم وحفيد نبي كريم و هو نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي
حكى عنه القرآن الكريم أنه كان مثالا في الإلتزام والطاعة وفي هذا يقول القرآن
الكريم { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ } . والإسلام في كلام العرب
: الخضوع والإنقياد . وليس كل إسلام إيمانا ، وكل إيمان إسلام ، لأن من آمن بالله
فقد استسلم وانقاد لله . وليس كل من أسلم آمن بالله .

وأن من ليس بمسلم فليس بمؤمن. ودليلنا قوله تعالى : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات : ١٤] الآية. فأخبر الله تعالى أنه ليس كل من أسلم مؤمنا ، فدل على أنه ليس كل مسلم مؤمنا .

وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص لما قال له : اعط فلانا فإنه مؤمن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أو مسلم" الحديث ، خرجه مسلم ، فدل على أن الإيمان ليس الإسلام ، فإن الإيمان باطن ، والإسلام ظاهر ، وهذا بين. وقد يطلق الإيمان بمعنى الإسلام ، والإسلام ويراد به الإيمان ، للزوم أحدهما الآخر وصدوره عنه ، كالإسلام الذي هو ثمرة الإيمان ودلالة على صحته ، فاعلمه .
 {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}

قوله تعالى : {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ} أي بالملة ، وقيل : بالكلمة التي هي قوله : {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} "ويعقوب" عطف عليه ، والمعنى : وأوصى يعقوب وقال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فيكون إبراهيم قد وصى بنيه ، ثم وصى بعده يعقوب بنيه.

"بنيه" وهو بعيد ، لأن يعقوب لم يكن فيما بين أولاد إبراهيم لما وصاهم ، ولم ينقل أن يعقوب أدرك جده إبراهيم ، وإنما ولد بعد موت إبراهيم ، وأن يعقوب أوصى بنيه أيضا كما فعل إبراهيم.

قال الكلبي : لما دخل يعقوب إلى مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران والبقر ، فجمع ولده وخاف عليهم وقال : ما تعبدون من بعدي ؟

عاش عليه السلام مائة وسبعا وأربعين سنة ومات بمصر ، وأوصى أن يحمل إلى الأرض المقدسة ، ويدفن عند أبيه إسحاق ، فحمله يوسف ودفنه عنده.

قوله تعالى : {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ} أي : اختار. {لَكُمُ الدِّينَ} أي الإسلام ، والألف واللام في "الدين" للعهد ، لأنهم قد كانوا عرفوه. {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ} إيجاز بليغ. والمعنى : الزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا. فأتى بلفظ موجز يتضمن المقصود ، ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت ، وذلك أن المرء

يتحقق أنه يموت ولا يدري متى ، فإذا أمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه ، . {إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} ابتداء وخبر في موضع الحال ، أي محسنون بربكم الظن ، وقيل
مخلصون ، وقيل مفوضون ، وقيل مؤمنون .

{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا
نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}
قوله تعالى : {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ} . والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون إلى
إبراهيم ما لم يوص به بنيه ، وأنهم على اليهودية والنصرانية ، فرد الله عليهم قولهم
وكذبهم .

وقال لهم على جهة التوبيخ : أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدعون عن علم ،
أي لم تشهدوا ، بل أنتم تفترون . و"أم" بمعنى بل ، أي بل أشهد أسلافكم يعقوب .
والعامل في "إذ" الأولى معنى الشهادة ، و"إذ" الثانية بدل من الأولى . و"شهداء" جمع
شاهد أي حاضر .

ومعنى {ذُ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} أي مقدماته وأسبابه ، وإلا فلو حضر الموت لما
أمكن أن يقول شيئا . وعبر عن المعبود "ب" "ما" ولم يقل من ، لأنه أراد أن يختبرهم ،
ولو قال "من" لكان مقصوده أن ينظر من لهم الاهتداء منهم ، وإنما أراد تجربتهم
فقال "ما" . وأيضا فالمعبودات المتعارفة من دون الله جمادات كالأوثان والنار والشمس
والحجارة .

فاستفهم عما يعبدون من هذه . ومعنى {مِن بَعْدِي} أي من بعد موتي . وحكي أن
يعقوب حين خير كما تخير الأنبياء اختار الموت وقال : أمهلوني حتى أوصي بني
وأهلي ، فجمعهم وقال لهم هذا ، فاهتدوا وقالوا : {نَعْبُدُ إِلَهَكَ} الآية . فأروه ثبوتهم
على الدين ومعرفتهم بالله تعالى .

قوله تعالى : {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} وسمى الله
كل واحد من العم والجد أبا ، وبدأ بذكر الجد ثم إسماعيل العم لأنه أكبر من

إسحاق. قوله تعالى : {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ابتداء وخبر ، ويحتمل أن يكون في موضع الحال والعامل "نعبد".

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} قوله تعالى : {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} "تلك" مبتدأ ، و"أمة" خبر ، "قد خلت" نعت لأمة ، وإن شئت كانت خبر المبتدأ ، وتكون "أمة" بدلا من "تلك". {لَهَا مَا كَسَبَتْ} "ما" في موضع رفع بالابتداء "ولكم ما كسبتم" مثله ، يريد من خير وشر.

وفي هذا دليل على أن العبد يضاف إليه أعمال وأكساب ، وإن كان الله تعالى أقدره على ذلك ، إن كان خيرا فبفضله وإن كان شرا فبعده ، وهذا مذهب أهل السنة ، قوله تعالى : {وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، مثل قوله تعالى : {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام : ١٦٤] أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى

{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

قوله تعالى : {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا} دعت كل فرقة إلى ما هي عليه ، فرد الله تعالى ذلك عليهم فقال : {بَلْ مِلَّةٌ} أي قل يا محمد : بل نتبع ملة ، فلهذا نصب الملة. وقيل : المعنى بل هتدي بملة إبراهيم . و"حنيفا" مائلا عن الأديان المكروهة إلى الحق دين إبراهيم .

{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}

قوله تعالى : {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ} خرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل" الآية. وقال محمد بن سيرين : إذا قيل لك أنت مؤمن ؟ فقل : {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} الآية.

وسئل بعض المتقدمين عن رجل قيل له : أتؤمن بفلان النبي ، فسماه باسم لم يعرفه ، فلو قال نعم ، فلعله لم يكن نبيا ، فقد شهد بالنبوة لغير نبي ، ولو قال لا ، فلعله نبي ، فقد جحد نبيا من الأنبياء ، فكيف يصنع ؟ فقال : ينبغي أن يقول : إن كان نبيا فقد آمنت به . والخطاب في هذه الآية لهذه الأمة ، علمهم الإيمان .

قال ابن عباس : جاء نفر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن من يؤمن به من الأنبياء ، فترلت الآية . فلما جاء ذكر عيسى قالوا : لا تؤمن بعيسى ولا من آمن به

{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ}

والأسباط : ولد يعقوب عليه السلام ، وهم اثنا عشر ولدا ، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس ، واحدهم سبط . والسبط في بني إسرائيل بمتزلة القبيلة في ولد إسماعيل . وسموا الأسباط من السبط وهو التابع ، فهم جماعة متتابعون .

حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة : نوحا وشعبيا وهودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم ولم يكن أحد له اسمان إلا عيسى ويعقوب . والسبط : الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد . {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} قال الفراء : أي لا تؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى .

{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

قوله تعالى : {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا} الخطاب لحمد صلى الله عليه وسلم وأمته . المعنى : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا ، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين ، وقيل : إن الباء زائدة مؤكدة . وكان ابن عباس يقرأ فيما حكى الطبري : "فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا" وهذا هو معنى القراءة وإن خالف المصحف ، "فمثل" زائدة كما هي في قوله : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}

[الشورى : ١١] أي ليس كهو شيء. وروى بقية حدثنا شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال : لا تقولوا فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فإن الله ليس له مثل ، ولكن قولوا : بالذي آمنتم به

والمعنى : أي فإن آمنوا بنببيكم وبعمامة الأنبياء ولم يفرقوا بينهم كما لم تفرقوا فقد اهتدوا ، وإن أبوا إلا التفريق فهم الناكبون عن الدين إلى الشقاق {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}

قوله تعالى : {وَإِنْ تَوَلَّوْا} أي عن الإيمان {فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ} قال زيد بن أسلم : الشقاق المنازعة. وقيل : الشقاق المجادلة والمخالفة والتعادي. وأصله من الشق وهو الجانب ، فكأن كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه. قوله تعالى : {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} أي فسيكفي الله رسوله عدوه. فكان هذا وعدا من الله تعالى لنبيه عليه السلام أنه سيكفيه من عانده ومن خالفه من المتولين بمن يهديه من المؤمنين ، فأنجز له الوعد ، وكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة وإجلاء بني النضير.

و {السَّمِيعُ} لقول كل قائل {الْعَلِيمُ} بما ينفذه في عباده ويجريه عليهم. وحكي أن أبا دلامة دخل على المنصور وعليه قلنسوة طويلة ، ودراعة مكتوب بين كتفيها {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ، وسيف معلق في وسطه ، وكان المنصور قد أمر الجند بهذا الزي ، فقال له : كيف حالك يا أبا دلامة ؟ قال : بشر يا أمير المؤمنين قال : وكيف ذاك ؟ قال : ما ظنك برجل وجهه في وسطه ، وسيفه في أسته ، وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره فضحك المنصور منه ، وأمر بتغيير ذلك الزي من وقته.

٨- جالوت و طالوت

القصة من العهد القديم :

١٢ وَدَاوُدُ هُوَ ابْنُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْأَفْرَاتِيِّ مِنْ بَيْتِ لَحْمٍ يَهُودًا الَّذِي اسْمُهُ يَسَّى وَلَهُ ثَمَانِيَةٌ بَنِينَ. وَكَانَ الرَّجُلُ فِي أَيَّامِ شَاوُلَ قَدْ شَاخَ وَكَبِرَ بَيْنَ النَّاسِ. ١٣ وَذَهَبَ بَنُو يَسَّى الثَّلَاثَةُ الْكِبَارُ وَتَبِعُوا شَاوُلَ إِلَى الْحَرْبِ.

وَأَسْمَاءُ بَنِيهِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى الْحَرْبِ: أَلْيَابُ الْبِكْرُ، وَأَبِينَادَابُ ثَانِيهِ، وَشَمَّةُ ثَالِثُهُمَا. ١٤ وَدَاوُدُ هُوَ الصَّغِيرُ. وَالثَّلَاثَةُ الْكِبَارُ ذَهَبُوا وَرَاءَ شَاوُلَ. ١٥ وَأَمَّا دَاوُدُ فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَرْجِعُ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ لِيُرْعَى غَنَمَ أَبِيهِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ.

١٦ وَكَانَ الْفِلِسْطِينِيُّ يَتَقَدَّمُ وَيَقِفُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ١٧ فَقَالَ يَسَّى لِدَاوُدَ ابْنِهِ: «خُذْ لِإِخْوَتِكَ إِيفَةً مِنْ هَذَا الْفَرِيكِ، وَهَذِهِ الْعَشْرَ الْخُبْزَاتِ وَارْكُضْ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى إِخْوَتِكَ. ١٨ وَهَذِهِ الْعَشْرَ الْقِطْعَاتِ مِنَ الْجُبْنِ قَدِّمَهَا لِرَبِّيسِ الْأَلْفِ، وَافْتَقِدْ سَلَامَةَ إِخْوَتِكَ وَخُذْ مِنْهُمْ عُرْبُونًا». ١٩ وَكَانَ شَاوُلُ وَهُمْ وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فِي وَادِي الْبَطْمِ يُحَارِبُونَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.

٢٠ فَبَكَرَ دَاوُدُ صَبَاحًا وَتَرَكَ الْغَنَمَ مَعَ حَارِسٍ، وَحَمَلَ وَذَهَبَ كَمَا أَمَرَهُ يَسَّى، وَآتَى إِلَى الْمِثْرَاسِ، وَالْجَيْشِ خَارِجًا إِلَى الْإِصْطِطَافِ وَهَنَقُوا لِلْحَرْبِ. ٢١ وَاصْطَفَى إِسْرَائِيلُ وَالْفِلِسْطِينِيُّونَ صَفًّا مُقَابِلَ صَفٍّ. ٢٢ فَتَرَكَ دَاوُدُ الْأَمْتِعَةَ الَّتِي مَعَهُ بِيَدِ حَافِظِ الْأَمْتِعَةِ، وَرَكَضَ إِلَى الصَّفِّ وَآتَى وَسَأَلَ عَنْ سَلَامَةِ إِخْوَتِهِ. ٢٣ وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ إِذَا بَرَجُلٌ مُبَارِزٌ اسْمُهُ جَلِيَّاتُ الْفِلِسْطِينِيِّ مِنْ جَتِّ، صَاعِدٌ مِنْ صُفُوفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ، فَسَمِعَ دَاوُدُ. ٢٤ وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ لَمَّا رَأَوْا الرَّجُلَ هَرَبُوا مِنْهُ وَخَافُوا جِدًّا. ٢٥ فَقَالَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ:

«أَرَأَيْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ الصَّاعِدَ؟ لِيُعِيرَ إِسْرَائِيلَ هُوَ صَاعِدٌ! فَيَكُونُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُهُ يُغْنِيهِ الْمَلِكُ غِنَى جَزِيلًا، وَيُعْطِيهِ بِنْتَهُ، وَيَجْعَلُ بَيْتَ أَبِيهِ حُرًّا فِي إِسْرَائِيلَ.»

٢٦ فَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّجَالَ الْوَاقِفِينَ مَعَهُ قَائِلًا: «مَاذَا يُفْعَلُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُ ذَلِكَ الْفَلِسْطِينِيَّ، وَيُزِيلُ الْعَارَ عَنِّ إِسْرَائِيلَ؟ لِأَنَّهُ مَن هُوَ هَذَا الْفَلِسْطِينِيُّ الْأَغْلَفُ حَتَّى يُعَيِّرَ صُفُوفَ اللَّهِ الْحَيِّ؟» ٢٧ فَكَلَّمَهُ الشَّعْبُ بِمَثَلِ هَذَا الْكَلَامِ قَائِلِينَ: «كَذَا يُفْعَلُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُهُ». ٢٨ وَسَمِعَ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ أَلِيَابُ كَلَامَهُ مَعَ الرَّجَالَ، فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيَابَ عَلَى دَاوُدَ

وَقَالَ: «لِمَآذَا نَزَلْتَ؟ وَعَلَى مَن تَرَكْتَ تِلْكَ الْغَنِيْمَاتِ الْقَلِيلَةَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ أَنَا عَلِمْتُ كِبْرِيَاءَكَ وَشَرَّ قَلْبِكَ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا نَزَلْتَ لِكَيْ تَرَى الْحَرْبَ». ٢٩ فَقَالَ دَاوُدُ: «مَاذَا عَمِلْتُ الْآنَ؟ أَمَا هُوَ كَلَامٌ؟». ٣٠ وَتَحَوَّلَ مِنْ عِنْدِهِ نَحْوَ آخَرَ، وَتَكَلَّمَ بِمَثَلِ هَذَا الْكَلَامِ، فَرَدَّ لَهُ الشَّعْبُ جَوَابًا كَالْجَوَابِ الْأَوَّلِ. ٣١ وَسَمِعَ الْكَلَامَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ دَاوُدُ وَأَخْبَرُوا بِهِ أَمَامَ شَاوُلَ، فَاسْتَحْضَرَهُ.

٣٢ فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لَا يَسْقُطُ قَلْبُ أَحَدٍ بِسَبَبِهِ. عَبْدُكَ يَذْهَبُ وَيُحَارِبُ هَذَا الْفَلِسْطِينِيَّ». ٣٣ فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى هَذَا الْفَلِسْطِينِيِّ لِتُحَارِبَهُ لِأَنَّكَ غُلَامٌ وَهُوَ رَجُلٌ حَرْبٌ مُنْذُ صِبَاهُ». ٣٤ فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «كَأَنَّ عَبْدُكَ يَرَعَى لِأَبِيهِ غَنَمًا، فَجَاءَ أَسَدٌ مَعَ دُبٍّ وَأَخَذَ شَاةً مِنَ الْقَطِيعِ،

٣٥ فَخَرَجْتُ وَرَاءَهُ وَقَتَلْتُهُ وَأَنْقَذْتُهَا مِنْ فِيهِ، وَلَمَّا قَامَ عَلَيَّ أَمْسَكْتُهُ مِنْ ذَنْبِهِ وَضَرْبَتُهُ فَقَتَلْتُهُ. ٣٦ قَتَلَ عَبْدُكَ الْأَسَدَ وَالذَّبَّ جَمِيعًا. وَهَذَا الْفَلِسْطِينِيُّ الْأَغْلَفُ يَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِأَنَّهُ قَدْ عَيَّرَ صُفُوفَ اللَّهِ الْحَيِّ». ٣٧ وَقَالَ دَاوُدُ: «الرَّبُّ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ الْأَسَدِ وَمِنْ يَدِ الذَّبِّ هُوَ يُنْقَذَنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْفَلِسْطِينِيِّ». فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ وَلْيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ».

٣٨ وَالْبَسَ شَاوُلُ دَاوُدَ ثِيَابَهُ، وَجَعَلَ خُوْدَةً مِنْ نُحَاسٍ عَلَى رَأْسِهِ، وَالْبَسَهُ دِرْعًا. ٣٩ فَتَقَلَّدَ دَاوُدُ بِسَيْفِهِ فَوْقَ ثِيَابِهِ وَعَزَمَ أَنْ يَمْشِيَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَرَّبَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لَا أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ بِهِذِهِ، لِأَنِّي لَمْ أَجْرِبْهَا». وَنَزَعَهَا دَاوُدُ عَنْهُ. ٤٠ وَأَخَذَ عَصَاهُ بِيَدِهِ، وَانْتَخَبَ لَهُ خَمْسَةَ حِجَارَةٍ مِّنَ الْوَادِي وَجَعَلَهَا فِي كِنْفِ الرُّعَاةِ الَّذِي لَهُ، أَيَّ فِي الْجِرَابِ، وَمَقْلَاعَهُ بِيَدِهِ وَتَقَدَّمَ نَحْوَ الْفَلِسْطِينِيِّ.

٤١ وَذَهَبَ الْفِلِسْطِينِيُّ ذَاهِبًا وَاقْتَرَبَ إِلَى دَاوُدَ الرَّجُلِ وَحَامِلُ
التُّرْسِ أَمَامَهُ. ٤٢ وَلَمَّا نَظَرَ الْفِلِسْطِينِيُّ وَرَأَى دَاوُدَ اسْتَحْقَرَهُ لِأَنَّهُ
كَانَ غُلَامًا وَأَشْقَرَ جَمِيلَ الْمُنْظَرِ. ٤٣ فَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ: «أَلَعَلِّي
أَنَا كَلْبٌ حَتَّى تَأْتِيَ إِلَيَّ بِعِصِيٍّ؟».

وَلَعَنَ الْفِلِسْطِينِيُّ دَاوُدَ بِالْهَيْتَةِ. ٤٤ وَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ: «تَعَالَ
إِلَيَّ فَأَعْطِي لِحَمَكِ لَطِيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ». ٤٥ فَقَالَ دَاوُدُ
لِلْفِلِسْطِينِيِّ: «أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُّرْسٍ، وَأَنَا أَتِي إِلَيْكَ
بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. ٤٦ هَذَا الْيَوْمَ
يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدَيَّ، فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأَعْطِي جُنُودَ جَيْشِ
الْفِلِسْطِينِيِّينَ هَذَا الْيَوْمَ لَطِيُورَ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ، فَتَعْلَمُ كُلُّ
الْأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ لِإِسْرَائِيلَ».

٤٧ وَتَعْلَمُ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفٍ وَلَا بِرُمْحٍ يُخَلِّصُ
الرَّبُّ، لِأَنَّ الْحَرْبَ لِلرَّبِّ وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِينَا». ٤٨ وَكَانَ لَمَّا قَامَ
الْفِلِسْطِينِيُّ وَذَهَبَ وَتَقَدَّمَ لِلِقَاءِ دَاوُدَ أَنَّ دَاوُدَ أَسْرَعَ وَرَكَضَ نَحْوَ
الصَّفِّ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ. ٤٩ وَمَدَّ دَاوُدُ يَدَهُ إِلَى الْكِنْفِ وَأَخَذَ مِنْهُ
حَجْرًا وَرَمَاهُ بِالْمِقْلَاعِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ فِي جَبْهَتِهِ، فَارْتَزَّ
الْحَجَرُ فِي جَبْهَتِهِ، وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ.

٥٠ فَتَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّ بِالْمِقْلَاعِ وَالْحَجَرِ، وَضَرَبَ
الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ. وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. ٥١ فَرَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ
عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ مِنْ غَمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ
رَأْسَهُ. فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا. ٥٢ فَقَامَ
رِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا وَهَتَفُوا وَاحْفُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ حَتَّى مَجِيئِكَ
إِلَى الْوَادِي، وَحَتَّى أَبْوَابِ عَقْرُونَ.

فَسَقَطَتْ قَتْلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ فِي طَرِيقِ شَعْرَايِمَ إِلَى جَتِّ وَإِلَى
عَقْرُونَ. ٥٣ ثُمَّ رَجَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْإِحْتِمَاءِ وَرَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ
وَنَهَبُوا مَحَلَّتَهُمْ. ٥٤ وَأَخَذَ دَاوُدُ رَأْسَ الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَتَى بِهِ إِلَى
أورُشَلِيمَ، وَوَضَعَ أَدْوَاتِهِ فِي خَيْمَتِهِ.

٥٥ وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ دَاوُدَ خَارِجًا لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ قَالَ لِأَبْنَيْرَ رَئِيسِ
الْجَيْشِ: «ابْنُ مَنْ هَذَا الْغُلَامُ يَا أَبْنَيْرُ؟» فَقَالَ أَبْنَيْرُ: «وَحَيَاتِكَ أَيُّهَا

الْمَلِكُ لَسْتُ أَعْلَمُ». ^{٥٦} فَقَالَ الْمَلِكُ: «اسْأَلِ ابْنَ مَنْ هَذَا الْعُلَامُ». ^{٥٧}
 وَلَمَّا رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ أَخَذَهُ ابْنَيْرُ وَأَخْضَرَهُ أَمَامَ
 شَاوُلَ وَرَأْسُ الْفِلِسْطِينِيِّ بِيَدِهِ. ^{٥٨} فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ: «ابْنُ مَنْ أَنْتَ يَا
 غُلَامُ؟» فَقَالَ دَاوُدُ: ابْنُ عَبْدِكَ يَسَى الْبَيْتَلْحَمِيِّ
^١ وَكَانَ لَمَّا فَرَعَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ شَاوُلَ أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ تَعَلَّقَتْ
 بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ. ^٢ فَأَخَذَهُ شَاوُلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ
 يَدْعُهُ يَرْجِعْ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ. ^٣ وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدَ عَهْدًا لِأَنَّهُ أَحَبَّهُ
 كَنَفْسِهِ.

^٤ وَخَلَعَ يُونَاثَانُ الْجُبَّةَ الَّتِي عَلَيْهِ وَأَعْطَاهَا لِدَاوُدَ مَعَ ثِيَابِهِ وَسَيْفِهِ
 وَقَوْسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ. ^٥ وَكَانَ دَاوُدُ يَخْرُجُ إِلَى حَيْثُمَا أُرْسِلَهُ شَاوُلُ. كَانَ
 يُفْلِحُ. فَجَعَلَهُ شَاوُلُ عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ. وَحَسُنَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ
 الشَّعْبِ وَفِي أَعْيُنِ عَبِيدِ شَاوُلَ أَيْضًا.

^٦ وَكَانَ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ حِينَ رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ، أَنَّ
 النِّسَاءَ خَرَجَتْ مِنْ جَمِيعِ مَدُنِ إِسْرَائِيلَ بِالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ لِلِقَاءِ
 شَاوُلَ الْمَلِكِ بِدُفُوفٍ وَبَفِرْحٍ وَبِمُنْتَلِنَاتٍ. ^٧ فَأَجَابَتِ النِّسَاءُ اللَّاعِبَاتُ
 وَقَلْنَ: «ضَرَبَ شَاوُلُ أَلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبَوَاتِهِ.

^٨ فَأَحْتَمَى شَاوُلُ جِدًّا وَسَاءَ هَذَا الْكَلَامُ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ:
 «أَعْطَيْتَنِي دَاوُدَ رِبَوَاتٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَعْطَيْتَنِي الْأُوفَ! وَبَعْدُ فَقَطُّ تَبْقَى
 لَهُ الْمَمْلَكَةُ». ^٩ فَكَانَ شَاوُلُ يُعَايِنُ دَاوُدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا.
^{١٠} وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ الرُّوحَ الرَّدِيءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ اقْتَحَمَ شَاوُلَ وَجَنَّ
 فِي وَسْطِ الْبَيْتِ. وَكَانَ دَاوُدُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ كَمَا فِي يَوْمِ فَيَوْمٍ، وَكَانَ
 الرُّمْحُ بِيَدِ شَاوُلَ. ^{١١} فَأَشْرَعَ شَاوُلُ الرُّمْحَ وَقَالَ: «أَضْرِبْ دَاوُدَ
 حَتَّى إِلَى الْحَايِطِ».

^{١٢} فَتَحَوَّلَ دَاوُدُ مِنْ أَمَامِهِ مَرَّتَيْنِ. ^{١٣} وَكَانَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ لِأَنَّ
 الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَقَدْ فَارَقَ شَاوُلَ. ^{١٤} فَأَبْعَدَهُ شَاوُلُ عَنْهُ وَجَعَلَهُ لَهُ
 رَيْسَ أَلْفٍ، فَكَانَ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ أَمَامَ الشَّعْبِ. ^{١٥} وَكَانَ دَاوُدُ مُفْلِحًا
 فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَالرَّبُّ مَعَهُ. ^{١٦} فَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ أَنَّهُ مُفْلِحٌ جِدًّا فَرَعَ
 مِنْهُ. ^{١٧} وَكَانَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا يُحِبُّونَ دَاوُدَ لِأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ
 وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ.

١٧ وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «هُوَذَا ابْنَتِي الْكَبِيرَةُ مِيرَبُ أُعْطِيكَ إِيَّاهَا امْرَأَةً. إِنَّمَا كُنَّ لِي ذَا بَأْسٍ وَحَارِبُ حُرُوبِ الرَّبِّ». فَإِنَّ شَاوُلَ قَالَ: «لَا تَكُنْ يَدِي عَلَيْهِ، بَلْ لِتَكُنْ عَلَيْهِ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». ١٨ فَقَالَ دَاوُدُ لَشَاوُلَ: «مَنْ أَنَا، وَمَا هِيَ حَيَاتِي وَعَشِيرَةُ أَبِي فِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَكُونَ صِهْرَ الْمَلِكِ؟».

١٩ وَكَانَ فِي وَفْتٍ إِعْطَاءِ مِيرَبَ ابْنَةَ شَاوُلَ لِدَاوُدَ أَنَّهَا أُعْطِيَتْ لِعَدْرِيئِيلَ الْمَحُولِيِّ امْرَأَةً. ٢٠ وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ أَحَبَّتْ دَاوُدَ، فَأَخْبَرُوا شَاوُلَ، فَحَسَنَ الْأَمْرُ فِي عَيْنَيْهِ. ٢١ وَقَالَ شَاوُلُ: «أُعْطِيهِ إِيَّاهَا فَتَكُونُ لَهُ شَرَكًا وَتَكُونُ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عَلَيْهِ». وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ ثَانِيَةً: «تُصَاهِرُنِي الْيَوْمَ». ٢٢ وَأَمَرَ شَاوُلُ عَبِيدَهُ: «تَكَلَّمُوا مَعَ دَاوُدَ سِرًّا قَائِلِينَ: هُوَذَا قَدْ سُرَّ بِكَ الْمَلِكُ، وَجَمِيعُ عَبِيدِهِ قَدْ أَحْبَبُواكَ. فَالآنَ صَاهِرِ الْمَلِكَ

٢٣ فَتَكَلَّمْ عَبِيدُ شَاوُلَ فِي أُذُنِي دَاوُدَ بِهَذَا الْكَلَامِ. فَقَالَ دَاوُدُ: «هَلْ هُوَ مُسْتَخْفٍ فِي أَعْيُنِكُمْ مُصَاهِرَةَ الْمَلِكِ وَأَنَا رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَحَقِيرٌ؟» ٢٤ فَأَخْبَرَ شَاوُلَ عَبِيدَهُ قَائِلِينَ: «بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ تَكَلَّمْ دَاوُدُ».

٢٥ فَقَالَ شَاوُلُ: «هَكَذَا تَقُولُونَ لِدَاوُدَ: لَيْسَتْ مَسْرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ، بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ». وَكَانَ شَاوُلُ يَتَفَكَّرُ أَنْ يُوقِعَ دَاوُدَ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٢٦ فَأَخْبَرَ عَبِيدَهُ دَاوُدَ بِهَذَا الْكَلَامِ، فَحَسَنَ الْكَلَامُ فِي عَيْنِي دَاوُدَ أَنْ يُصَاهِرَ الْمَلِكَ. وَلَمْ تَكْمُلِ الْآيَّامُ

٢٧ حَتَّى قَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَرِجَالُهُ وَقَتَلَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَتِي رَجُلًا، وَأَتَى دَاوُدَ بِغُلْفِهِمْ فَأَكْمَلُواهَا لِلْمَلِكِ لِمُصَاهِرَةِ الْمَلِكِ. فَأَعْطَاهُ شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً. ٢٨ فَرَأَى شَاوُلُ وَعَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ مَعَ دَاوُدَ. وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ كَانَتْ تُحِبُّهُ. ٢٩ وَعَادَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ بَعْدُ، وَصَارَ شَاوُلُ عَدُوًّا لِدَاوُدَ كُلَّ الْآيَّامِ.

٣٠ وَخَرَجَ أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَمِنْ حِينِ خُرُوجِهِمْ كَانَ دَاوُدُ يُفْلِحُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ عَبِيدِ شَاوُلَ، فَتَوَقَّرَ اسْمُهُ جِدًّا

القصة في القرآن الكريم:

ورد ذكر القصة في سورة البقرة الآيات 251-246

قال تعالى ((: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ
الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ
يُؤْتْ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ
قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ
اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ
غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠))
فَهَزَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ (٢٥١)

نسب نبي الله داود :

داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن ارم بن
حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه،
وخليفته في أرض بيت المقدس.

دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة (فلسطين) واستقروا بها، وكان ذلك على يد يوشع بن نون، وصاروا يعبدون الله على المنهج الذي جاء به موسى، وبعد مدة عادوا إلى طبائعهم الفاسدة مرة أخرى، فكفروا بأنعم الله، وانحرفوا عن الطريق المستقيم فسَلَطَ اللهُ عليهم ملكًا جبارًا اسمه جالوت فقتل رجالهم، وسبى نساءهم وأطفالهم، وأخرجهم من بيوتهم، وأخذ منهم التابوت المقدس وبه الألواح الخاصة بالتوراة، وعصا موسى وبعض الأشياء الخاصة بهارون.

وأراد بنو إسرائيل قتال جالوت وجنوده، ولم يكن لهم في هذه الفترة ملك يوحد صفوفهم لقتال هذا الملك الجبار، وكان من بينهم آنذاك نبي من أنبياء الله فذهبوا إليه وأخبروه أنهم يريدون ملكًا عليهم لخاربة جالوت، فتعجب نبيهم من هذا الطلب، وذكرهم من أنه يخشى إن فرض عليهم القتال أن يرفضوا القتال، ولكنهم أكدوا له عزمهم على القتال، فقد طردوا من بيوتهم، وابتعدوا عن أبنائهم، فأوحى الله إلى نبيهم أن يخبرهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا.

فلما أخبرهم بذلك تعجبوا، وغضبوا من هذا الاختيار، حيث كان الكثير منهم خاصة الأغنياء يطمع أن يكون هو الملك الذي يوحد الصفوف لقتال جالوت، وتكون له الهيمنة والسلطان، ويحظى بشرف الحكم والقيادة، ومن أجل ذلك اعترض الكثير منهم على اختيار طالوت ليتولى السُّلْطَن من بينهم..

فأخبرهم نبيهم أن هذا اختيار الله، وأنه -سبحانه- قد أعطى طالوت قوة في الجسم، وسعة في العلم، وأن علامة ملك طالوت أن تأتيه الملائكة بالتابوت الذي كان قد أخذه جالوت من قبل، وفي لحظات كانت الملائكة قد أتت بالصندوق ووضعت أمام طالوت، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك رضوا به، ووافقوا على حكمه لهم، ثم أوحى الله لنبي بني إسرائيل أن يخبرهم بأن الله يأمرهم بالخروج مع طالوت لقتال عدوهم الذي أذهم، وأسر وسبى أبنائهم.

ولكنهم امتنعوا عن القتال إلا قليلاً منهم تشجعوا، واستعدوا للقتال، فساروا مع طالوت للقاء جالوت الجبار وجنوده، وبهذه القلة التي آمنت، خرج طالوت وسار في طريق صحراوي ليس فيه ماء، فاشتكى بنو إسرائيل من الظم والعطش فطمأنهم

ملكهم طالوت وطلب منهم الصبر ومواصلة السير، وبعد لحظات اقترب طالوت وجنوده من نهر من الأنهار.

فقال لهم طالوت مبيناً أنهم سيمرون على نهر فمن شرب منه بكثرة، فقد خرج عن طاعته إلا من اغترف غرفة بيده يروى بما ظمأه، ومن خالف هذا الأمر فعليه أن يترك الجيش ويرجع من حيث جاء، فلما وصل طالوت وبنو إسرائيل إلى النهر، لم يستجب أكثرهم لما أمرهم به الملك طالوت، فشربوا من النهر حتى امتلأت بطونهم إلا قليلاً منهم.

فأمر طالوت كل من شرب من النهر حتى شبع أن يترك الجيش ويعتزل الباقين، ثم واصل سيره بالبقية الباقية من بني إسرائيل، وعبر النهر ليلتقي مع جيش جالوت وحتى هذه القلة التي ثبتت تراجع بعضهم وأصابهم الخوف عندما رأوا كثرة جنود جالوت، ولم يصبر معه إلا المؤمنون الصادقون الذين يعلمون أن الله ينصر المؤمنين بقوة إيمانهم لا بكثرة عددهم، ولما ظهر جالوت وجنوده أمامهم، واقترب منهم دعوا الله فقالوا: {ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على الكافرين} [البقرة: ٢٥٠].

وفي الميدان المخصص للقتال وقف جالوت وجنوده في ناحية، وطالوت وبنو إسرائيل في ناحية أخرى، ثم تقدم جالوت على حصانه، مسلحاً بكافة الدروع ونادى بأعلى صوته، هل من مبارز؟ هل من مقاتل؟ وكان في جيش طالوت جندي عظيم، هو نبي الله داود.

والذي يرجع نسبه إلى إبراهيم -عليه السلام- فخرج من بين الصفوف ليبارز جالوت الجبار بعد أن امتنع جميع بني إسرائيل عن الخروج إليه، فضرب داود جالوت بحجارة عن طريق مقلاعه، فوقع قتيلاً، ففر الجيش هارباً، وانتصرت القلة المؤمنة بحول الله وقوته على الكثرة الكافرة المشركة. وانتهت المعركة، وبدأ عهد نبي جديد وملك جديد.

قال تعالى: {فهزم موهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء} [البقرة: ٢٥١]. وجمع الله لداود الملك والنبوة، فكان ملكاً نبياً، وأنزل

عليه الزبور، وهو كتاب مقدس فيه كثير من المواعظ والحكم، قال تعالى: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ [النساء: ١٦٣]

وأعطى الله لداود صوتاً جميلاً لم يعطه لأحد من قبله، فكان إذا قرأ كتابه الزبور، وسبح الله، وقف الطير في الهواء يسبح الله معه، وينصت لما يقرؤه وكذلك الجبال فإنها كانت تسبح معه في الصباح والمساء، قال تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب﴾ [ص: ١٨-١٩]

وأيد الله داود بمعجزات كثيرة دالة على نبوته، فالآن له الحديد، حتى يسهل عليه صنع الدروع والمخاريب التي تستخدم في الحروب والقتال. وأراد الله - سبحانه - أن يعلم داود درساً في العدل حين يحكم، فبينما كان يجلس في محرابه يصلى ويتعبد، فوجئ باثنين من الرجال يصعدان على سور محرابه حتى وصلا إليه، فدخلا عليه، فخاف منهما وفرع.

فقال الرجلان: يا داود لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعض فجئنا لتحكم بيننا بالحق، فسألهم داود عن قضيتهم، فقال أحد الخصمين: إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فأراد أن يأخذها مني ليكمل المائة، فتسرع داود في الحكم لهذه القضية قبل أن يسمع كلام الآخر، فقال: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلقاء ليبغي بعضهم علي بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [ص: ٤٢]

وما إن أكمل داود حكمه حتى اختفي هذان الرجلان فجأة دون أن يخرجوا من الباب أو يعودا كما جاء، فأدرك داود أن هذين ملكان أرسلهما الله ليعلماه أن يسمع من الخصمين قبل أن يحكم بينهما، فاستغفر داود ربه. وكان داود يتقرب إلى الله بالذكر والدعاء والصلاة، لذلك مدحه الله بقوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا داود ذي الأيدٍ إنه أواب﴾ [ص: ١٧] وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول عنه: (كان أعبد البشر) [البخارى] وقال - صلى الله عليه وسلم -: (أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) [متفق عليه].

وكان داود لا يأكل إلا من عمل يده، لأنه يعلم أن أفضل الكسب هو ما يكسبه الإنسان من صنع يده، قال -صلى الله عليه وسلم-: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود -عليه السلام- كان يأكل من عمل يده) [البخارى] وقد مات داود -عليه الصلاة والسلام- وتولى من بعده ابنه سليمان -عليه السلام- الحكم وجعله الله نبياً، قال تعالى: {وورث سليمان داود} وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} وقال تعالى: {... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء، وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها فقال: {وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ} أي: لا تدق المسمار فيفلق، ولا تغلظه فيفصم

قال الحسن البصري، وقاتدة، والأعمش: كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده، لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة. قال قاتدة: فكان أول من عمل الدروع من زرد، وإنما كانت قبل ذلك من صفائح. قال ابن شوذب: كان يعمل كل يوم درعاً يبيعها بستة آلاف درهم، وقد ثبت في الحديث: ((أن أطيّب ما أكل الرجل من كسبه، وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده)).

وقال تعالى: {وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ} .

قال ابن عباس، ومجاهد: الأيد: القوة في الطاعة، يعني: ذا قوة في العبادة والعمل الصالح. قال قاتدة: أعطي قوة في العبادة، وفقهاً في الإسلام. قال: وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل، ويصوم نصف الدهر. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفطر يوماً، إذا لاقى)).

وقوله: {إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ} . كما قال: {يا جبال أوبي معه والطير} أي: سبحي معه. {إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ}

أي: عند آخر النهار وأوله. وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث أنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء، يُرجع بترجيعه، ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه، كلما سبح بكرة وعشياً صلوات الله وسلامه عليه.

وقال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطي داود من حُسن الصوت ما لم يعط أحد قط، حتى أن كان الطير والوحش ينعكف حوله، حتى يموت عطشاً وجوعاً، وحتى إن الأنهار لتقف.

وقال وهب بن منبه: كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهيفة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله، فيعكف الجن، والإنس، والطير، والدواب على صوته، حتى يهلك بعضها جوعاً. عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: ((لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود)).

وقد كان داود عليه السلام مع هذا الصوت الرخيم، سريع القراءة لكتابه الزبور كما قال الإمام أحمد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خفف على داود القراءة، فكان يأمر بدابته فتسرج، فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه)).

والمراد بالقرآن ههنا الزبور: الذي أنزله عليه، وأوحاه إليه، وقد كان ملكاً له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب، وهذا أمر سريع مع التدبير والترنم والتغني به على وجه التخشع، صلوات الله وسلامه عليه.

وقد قال الله تعالى: {وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا} والزبور: كتاب مشهور، أنزل في شهر رمضان، وفيه من المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظر فيه.

وقوله: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} أي: أعطيناه ملكاً عظيماً، وحكماً نافذاً. روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس:

أن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقر: ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه، فأنكر المدعى عليه، فأرجأ أمرهما إلى الليل، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعي،

فلما أصبح قال له داود: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيتك على هذا؟ قال: والله يا نبي الله إني لحق فيما ادعيتك عليه، ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا، فأمر به داود فقتل، فعظم أمر داود في بني إسرائيل جداً وخضعوا له خضوعاً عظيماً.

قال ابن عباس: وهو قوله تعالى: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} وقوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ} أي: النبوة. {وَفَصَّلَ الْخِطَابَ} قال شريح، والشعبي، وقتادة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وغيرهم: فصل الخطاب: الشهود والأيمان، يعنون بذلك البيعة على المدعي، واليمين على من أنكر. وقال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه. وقال مجاهد: هو الفصل في الكلام، وفي الحكم

٩- طلب موسى للرؤية

إن نبي الله موسى (عليه السلام) يعتقد بعدم رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والاخرة، لأنه يلزم منه التجسيم وسؤاله (عليه السلام) عن رؤية المولى عز وجل لم يكن بدافع من نفس موسى (عليه السلام)، بل بضغط من قومه. ونذكر لكم رواية واحدة عن الامام علي الرضا (عليه السلام) تؤيد ما نقوله :

قال علي بن محمد بن الجهم : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) ، فقال له المأمون : يا بن رسول الله أليس من قولك ان الأنبياء معصومون ؟ قال : بلى ، فسأله عن آيات من القرآن ، فكان فيما سأله أن قال له : فما معنى قول الله عز وجل ((ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني))

كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران (عليه السلام) لا يعلم أن الله — تعالى ذكره — لا تجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ فقال الرضا (عليه السلام) : إن كلم الله موسى بن عمران (عليه السلام) علم أن الله تعالى عن أن يرى

بالأبصار ، ولكنته لما كلمه الله عزّ وجلّ وقربه نجياً ، رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ كلمه وقربه وناجاه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت ، وكان القوم سبعمائة ألف رجل ، فاختار منهم سبعين ألفاً ، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ثمّ اختار منهم سبعمائة ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه .

فخرج بهم إلى طور سينا ، فأقامهم في سفح الجبل ، وصعد موسى (عليه السلام) إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه ، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام ، لأنّ الله عزّ وجلّ حدثه في الشجرة ، ثمّ جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه .

فقالوا : لن نؤمن لك بأنّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرةً ، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عزّ وجلّ عليهم صاعقةً فأخذتهم بظلمهم فماتوا ، فقال موسى : يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا : إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادّعت من مناجاة الله إليك ، فأحياهم الله وبعثهم معه .

فقالوا : إنك لو سألت الله أن يريك أن تنظر إليه لأجابه وكنت تخبرنا كيف هو فعرفه حقّ معرفته ، فقال موسى (عليه السلام) : يا قوم إنّ الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له ، وإنّما يعرف بآياته ويعلم باعلامه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى تسأله ، فقال موسى (عليه السلام) : ياربّ إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحيهم .

فأوحى الله جلّ جلاله إليه : يا موسى إسألني ما سألوك فلن أوأخذك بجهلهم ، فعند ذلك قال موسى (عليه السلام) : ((ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربّه للجبل (بآية من آياته) جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك)) ، يقول : رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي — وأنا أوّل المؤمنين) منهم بأنك لا تفرى ..

وأما بالنسبة إلى تجلي الله عزّ وجلّ للجبل ، فإن ظاهر الآية أنه سبحانه تجلّى للجبل وهو لم يتحمّل تجلّيه لا أنّه رآه وشاهده ، وعندئذ فمن المحتمل جداً ان يكون تجلّيه بآثاره وقدرته وأفعاله ، فعند ذلك لا يدل أنّ تجلّيه للجبل كان بذاته .

قائمة أهم المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الجامع لاحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي
- دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩١
- ٣ - مختصر الطبري للامام محمد بن جرير الطبري
- ٤ - البخاري
- ٥ - الموطأ للامام مالك
- ٦ - المسند للامام أحمد
- ٧ - الترمذي
- ٨ - رياض الصالحين للامام شرف الدين النووي الدمشقي - دار المنار
للطباعة والنشر
- ٩ - نور القبس المختصر من المقتبس للحافظ اليعموري
- ١٠ - أسرار اللغة - د - ابراهيم أنيس - القاهرة ١٩٦٦
- ١١ - الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري
- ١٢ - الجامع لأحداث الراوي وآداب السامع - الخطيب البغدادي
- ١٣ - ديوان ألفية محمد - د. - صلاح القوسي
- ١٤ - ديوان هاشم الرفاعي
- ١٥ - اظهار الحق - رحمت الله الهندي

- ١٦- سير أعلام النبلاء - الإمام الذهبي
 ١٧- سيدنا أبو هريرة - محمد عبده يمانى
 ١٨- الفرقان - ابن تيمية
 ١٩- فتح الباري - محي الدين الخطيب
 ٢٠- الإصابة في معرفة الصحابة - ابن حجر
 ٢١- تذكرة الحفاظ - الذهبي
 ٢٢- الجامع - معمر بن راشد
 ٢٣- منهاج السنة - ابن تيمية
 ٢٤- تهذيب الأسماء - الإمام النووي
 ٢٥- المعجم الوسيط - إبراهيم أنيس وآخرون
 ٢٦- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها. ط ١. دار القلم. بيروت. دمشق،
 ١٣٩٥هـ.
 ٢٧- الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي. هنري كلود و اندريه برينان و ايف
 لاكوست. ترجمة : محمد عيتاني مكتبة المعارف. بيروت.
 ٢٨- الاستعمار. أحقاد وأطماع. محمد الغزالي. ط ٢. الدار السعودية للنشر.
 جدة، ١٣٨٩هـ.
 ٢٩- الإسلام والتحدي التنصيري. عمر بابكور. معهد البحث العلمي. جامعة أم
 القرى، ١٤٠٧هـ.
 ٣٠- التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، ط ١، الزهراء للإعلام العربي،
 ١٤١١هـ.
 ٣١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ،
 منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٣م.
 ٣٢- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر. أحمد عبد الوهاب. ط ١. مكتبة وهبة،
 ١٤٠١هـ.

- ٣٣- رسالة الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، دار المدني، جدة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤٠٧هـ.
- ٣٤- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، أنور الجندي ط١، دار المعرفة، ١٩٧٠م..
- ٣٥- غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، أبو هلال الأندونوسي، ط٣، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ.
- ٣٦- الغارة على العالم الإسلامي. أ. ل. شاتليه. تاخيص وتعريب : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي. ط٤. الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة، ١٤٠٥هـ.
- ٣٧- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- ٣٨- المسيحية، أحمد شلبي، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣م.
- * المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢، دار الفكر.
- ٣٩- ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، إبراهيم عكاشة، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
- ٤٠- المسلمون في الهند - أحمد بجش الهروي - ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٥م.
- ٤١- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية - أحمد محمود الساداتي - مكتبة هضبة الشرق - القاهرة - ١٩٧٠م.
- ٤٢- تاريخ الإسلام في الهند - عبد المنعم النمر - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).
- ٤٣- الشعوب الإسلامية - عبد العزيز سليمان نوار
- ٤٤- الاحتلال الصليبي والعالم الإسلامي - محمد المقدسي
- ٤٥- الاحتلال الصليبي والعالم الإسلامي د. منقذ بن محمود السقار
- ٤٦- كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل القسيس مزبك

٤٧- صدق الإخبارات عن الحوادث المستقبلية

٤٨ - هداية الحيارى - ابن قيم الجوزية

٤٩ - قصة الحضارة . ويل ديورانت - ترجمة محمد بدران

٥٠ - سفر التكوين

٥١ - سفر الخروج